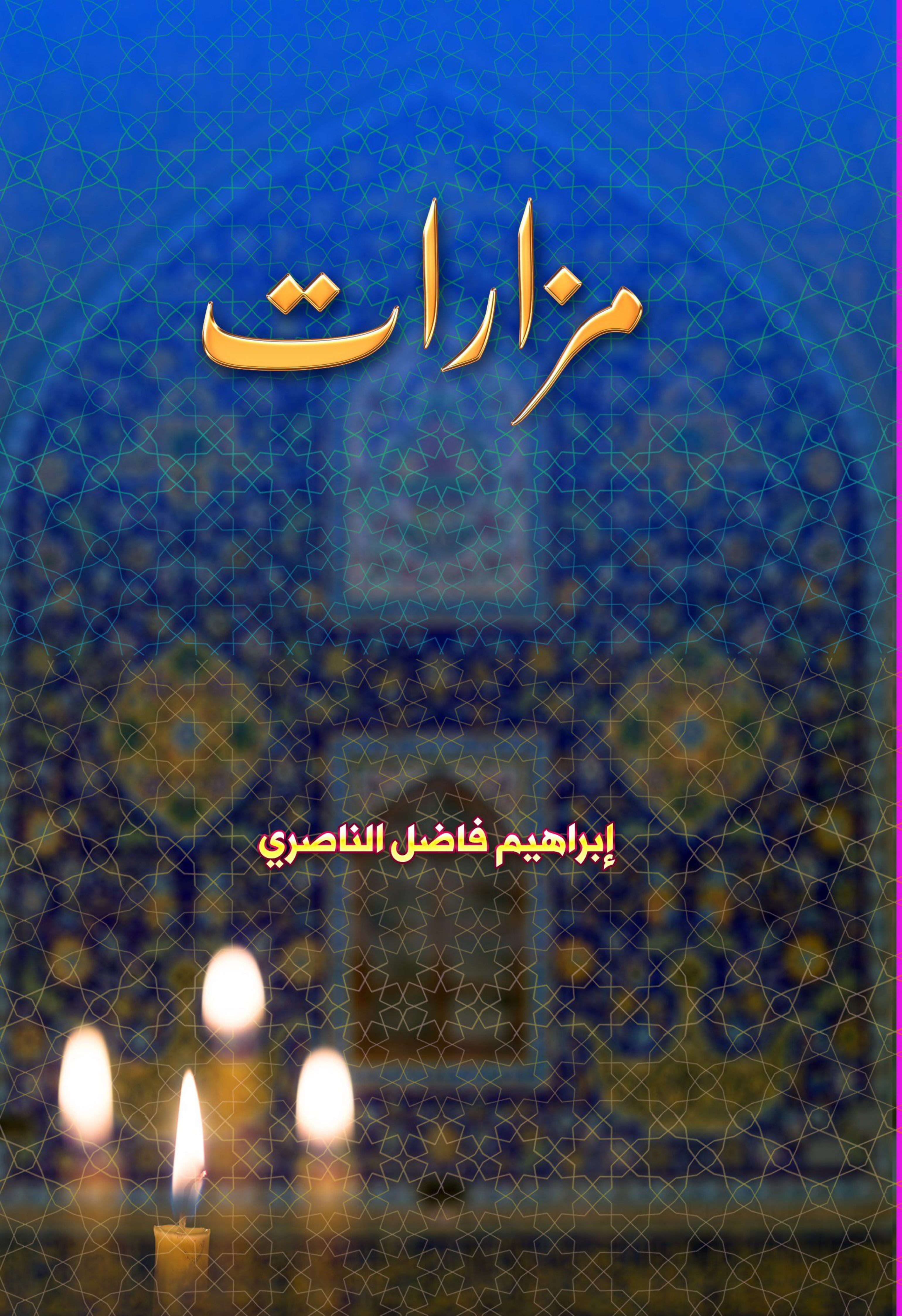

مزارات
إبراهيم فاضل الناصري

مــــزارات



مــــزارات

محاكمة الرأي السائد

في هوية ما تضمه تكريت من

المشاهد والمقامات والاضرحة والمراقد

المؤرخ

إبراهيم فاضل الناصري

- اسم الكتاب: مزارات
- المؤلف: المؤرخ إبراهيم فاضل الناصــري
- الطبعة: الأولى: ٢٠٢٠
- الناشـــر:



- صــلاح الــدين – تكريــت – حــي الزهــور / ٠٧٧١٠٦٥١٩٦٨ /٠٧٧٠٨٣٦١٩٢٦ ٠٧٨٠٦٣٩١٢٤٩
- alabdae2013@gmail.com

رقم الإيداع الدوليISBN: 978-9922-9429-4-0

- تصميم الغلاف: الفنان رياض الجابر

طبعة جديدة، معدلة ومزيدة

بغداد ٢٠٢٣مـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ
إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ
رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا

صدق الله العظيم

(الكهف)



الاهداء

الى أرواح الاطهار والابرار من الصالحات والصالحين

الذين تشرفت ارض الرافدين

لتكون تربة لهم بعد ان اختارهم اليقين

ثم عميت هوياتهم ورموسهم على الآثاريين والمؤرخين

ما جعلهم غير معرفين في المدفن ولا في الهوية واضحين

إبراهيم الناصري

المحتويات

مقدمـــة

لعل من نافلة الشروع في الموضوع، الاستهلال بالقول المتلال؛ أن الحمد لله رب العالمين، الذي أوضح سبل الهداية بإقامة الحجج والبراهين، وأشرق انوار الدراية بالتزام منهج معياره هو عين اليقين.

وبعد فلقد كانت ومازالت مثاوي الرموز الغرر الصالحين من طبقات الصحابة والأولياء والتابعين، تشكل معالم ناضرة لأدوار زاهرة قد زالت ظلال بعضها بتوالي الأزمان والتبست أخبار بعضها الآخر بتبدل أحوال السكان، مما حدا بصورتها الحقيقية أن تشوّه، وهذا جزء من ضريبة النهوض المدني، إذ لمّا كانت المدن معرضة للتطور وأحوالها معرضة للتبدل وفق حركية الحياة، كما ومعرضة للتلاشي وفق تأثير صراع البقاء، فان التباس الحقائق أو اندراس الآثار أو اضطراب الأخبار والروايات لبعض الموروث انما هي احوال واردة الحصول.

وان من بين اهم الامتيازات المدنية التي تجعل مدينة معينة تأخذ قيمتها وشهرتها فتصبح محط انظار او مقصد زيارة يشد اليها الرحال، هو امتياز احتضانها مزارا لشريف او جليل او منيف سواء كان مثوى طاهر او مشهد مبارك او مقام بهي او مرقد معلَم لشخصية طاهرة مباركة او شخصية مهيبة فذة، وسواء كان الحاضن المقصود يعود لـ

وليّ صالح او لصحابي جليل او لتابعي نبيل او لشيخ مبارك، حيث انه سيكون الفيء الذي تستظل وتلوذ به روحيا، مثلما سوف تستشرف فيه وتتباهى بعنوانه اعتباريا بين نظيراتها من المدائن المحيطة فيها.

وفي حياض بلدنا العتيق التليد، فإنَّ مدناً غير قليلة كانت قد أخذت شهرتها وقدسيتها واهميتها من احتضانها مرقد أو مقام أو مشهد او ضريح، او مثوى تحتضن جلال حاله وقدسية تربته، مثلما ترعى ذمته رمزا أو اثرا، بوصفه إرثا مباركا مشاعا ومحل اشعاع واستقطاب يشد من لحمة المجتمع ويقوي أواصره ويذكّره في أيام الله تعالى المباركة.

ثم ولابد لنا من التصريح حول انه لا يختلف اثنان على ما لمثل تلكم الصروح والعمر من اثار روحية وأخلاقية ومن تأثيرات اعتبارية وقيمية على المدينة وأهلها فضلا على هالة القدسية التي تضفيها عليها.

وتكريت المدينة العتيقة انما هي من بين أبرز المدائن الرافدينية التي ما فتئت تمتلك هكذا امكنة بالطهر باهرة وبالقدسية عامرة. وان ممتلكاتها من تلكم الصروح والتي توارث مجتمع الناس فيها على اعتياد تسميتها بالمزارات، قد منحها ثبوتيتها يقينية قد اعتقد فيها بوجدانية حتى صارت اعرافهم في قدسيتها وطهارتها حقائقا تاريخية.

وانني ومن باب التيقن والتحقق ثم التثبت من امرها والقرار بحقها اقوم بدراسة استقرائية تاريخية استدلالية عليها لتأكيد الصفة التي تستحق، معتمدا طريقة جديدة على مضمار التحقيق الاثري والتحقق التاريخي. إذ ان من بين أحدث طرائق الاستدلال التي بات يعتمدها أهل التراث الثقافي الحضاري المادي في عمليات تحقيق هوية الشواخص التراثية الوطنية هي طريقة الاستدلال بالأخبار والوثائق التاريخية حيث عدّت من أنجح الطرائق في هذا المجال فلقد حسمت بها كثير من المسائل الأثرية المتحيرة. فمثلما كانت لعلم الآثار وقفات تأكيد وتصويب للأخبار أضحت للأخبار اسهامات في تفسير الاثار.

وذا أنني اليوم بهذا الكتاب ذي الوجهة الروحية، سوف أسوق المثل على ذلك، مضمّنا الكيفية الموضوعية للتحقق من هوية بعض الشواهد الأثرية الدينية (المزارات) التي تحتضنها مدينة تكريت التاريخية من خلال الاستدلال عليها وعلى هويتها بالأخبار والوثائق التاريخية.

حيث أني وخلال رحلتي بين مضان التاريخ التي تتضمن ذكر مدينة تكريت قد تكشفت لي بعض المعطيات التي تصب في أمر تحقيق هوية بعض اماكن الزيارة الدينية التي تمتلكها تكريت من التي أمرها بات يتوارد وهما في فهم الأغلبية من أهلنا ولان من بين ما اقصده في

ذلك هوية تلك القباب والاضرحة والمراقد التي يحتضنها مركزها وكيف أنها بحسب اعتقاد أهلنا قد عدت من العتبات الطاهرة والمباركة.

فلقد جبل الناس على زيارتها جريا على من سبقهم، مما جعل الدولة احتراما لعرفهم الشعبي تقوم بتعمير بعضها، بعد أن اضحت آكاما.

وفي الحقيقة قد شغلت مسالة هوية اصحابها اهتمام الكثير من الباحثين في التراث وفي التاريخ الإسلامي وأثارت نقاشا وجدلا بين المثقفين من سكان المدينة وظل الاجتهاد في حقيقة أمرها مفتوحا ومدار جدل ونقاش من قبل هؤلاء المثقفين وعلية السكان.

فمن هم هؤلاء الذوات الذي اقام لهم أهلنا في تكريت مزارات واضرحة ومراقد ومقامات؟ وهل لمعتقد أهلنا في مستوياتهم وفي هوياتهم وفي مقاماتهم من صحة دون استدلال وتثبت وتبين كما ودون تحقق؟

ولذلك وجريا على المنهج الذي اتخذه علماء الخططيات الاسلامية قبلي في المنوال ذاته، وفي أماكن معروفة ضمن خارطة الوطن أمثال الشيخ العلامة البحاثة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله والبروفيسور البحاثة الدكتور عماد عبد السلام رحمه الله، احاول في هذا الكتاب البحثي الاجتهاد في التوصل إلى حقيقة بضعة من المزارات بعد ان ظهر انه لا دليل كتابي موروث ولا مبرز اثري دال يؤكد صحة النسبة

المشاعة بين أهلنا كما أن الكتب التي ترجمت لآل بيت النبي الكرام لا تؤيد ذلك بل تدحضه بشكل قطعي بذكر الحقائق المنافية له. وان بعض الذي يعتقد به أهلنا هنا في تكريت إن هو إلا التباس في الفهم او هو شيء ما من الحقيقة المضمخة والمغلفة بالوهم واللبس.

ثم بعد دراسة خططية لأمكنة ما توافر لدينا من هذه المزارات، وبعد بحث في الظروف الانية التي المت بحياة من صارت تنسب إليهم كما وبعد تقصي في مدى العلائق ما بينهم وبين مدينة تكريت. وما الدواعي الذي حتمت ثويهم فيها بعد انقضاء حيواتهم. خلصت إلى رؤى وتفسيرات وافتراضات تكشف عن هويات من بتلك المزارات.

وفي الحقيقة ان الهدف من هذه الدراسة ليس هو الدخول في اشتباك موضوعي مع الضرائحية ولا هو البحث عن مسوغات اجتماعية لها كما وليس هو نسفها او تجريدها من روحيتها بالنظرة العلمية، انما ملاحقة رمزيتها وهويات رموزها لفهم حقيقتها التي ينطوي عليها امرها. ان الدراسة تنطوي على مطمح فكري منفتح بهدف انجاز قراءة ممكنة للحالة الضرائحية من خلال توسيع دائرة النقاش حول المقدس والحفر العميق في امتداداته الزمكانية بعيدا عن أي غاية تشويه او تفريغ لها. محاولا الاقتراب من الواقع الذي كانت عليه بعيدا عن الصور النمطية التي تحيط بالعادات والطقوس الضرائحية وبنواميس عوالمها الخاصة.

انــه بحــث فــي الــديناميات العرفيــة الاجتماعيــة وفــي الطقــوس الانتربولوجية التي تتواصل في نسق الولاية والصلاح ووعيا بمقدسها. انه مسائلة جغرافية وتاريخ المقدس في مدينة تكريت وكذا هو اكتشاف ابعاد المؤثرات والتجليات لهذا المقدس الولوي في المجال التكريتي. وان المتن الذي اتخذته نموذجا للاستقراء في حدود وامتدادات المقدس يشكل سجلا سوسيوثقافي متكامل يستلهم مقومات وجوده من دينامية دينية وتاريخية وجالية شعبية تنبني على المحاكمة وترتكز على العرف وتتفاعل مع المعتقد كمؤسس ناظم لتراثية ابنيته وتفاعلاته وعلاقاته.

وقبل الولوج في الدراسة لابد لي ان اشكر كل من اعانني برأي او بمعلومة. وكل من قدم لي خدمة فنية في الاعداد والإخراج في مقدمتهم: الفنان والاعلامي رياض الجابر الذي وضع له الغلاف الجميل والمعبر. والفنان أسامة محمد الصادق صاحب دار الابداع للنشر والذي تكفل بمسؤولية طباعته ونشـــره بطبعته الأولى البكر.

المـــــؤرخ

إبراهيم فاضل الناصري

تعريفات استهلالية

المرقد: كلمة اصطلاحية انما تعني القبر وتدل عليه وهي مرادفة اسمية للقبر، قال تعالى: (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا).

القبر: اصطلاحا يعني المثوى او المكان الحاضن لرفات الميت والذي جاء مرتفعا عن الأرض ويسمى المجنة او الرمس.

الضريح: كلمة اصطلاحية تعني الغلاف الذي يغلف به القبر وتمثل الاضرحة مظاهر تفخيم وتبجيل للمرقد وهي حالة رقي في سلسلة تطور عمارة القبور والمراقد والاهتمام والعناية فيها.

الناووس: وهو القبر المعمول من حجر وهو ظاهرة عمارية نادرة.

التربة: مكان دفن خاص مقبب ومعد لاحتواء رفات واحدة فقط.

الرمس: كلمة اصطلاحية معناها القبر الذي تساوى مع الأرض.

الجبانة: المكان الذي يضم مجموعة من قبور معلّمة لملة معينة.

قبة المثوى: اصطلاح اسمها وحالها منحدر من قبو وتكون بهيئة نصف كروية او اهليجية (الدائري المستطيل) وبمعنى اخر هي

البنـاء العلـوي الـدائري المحـدب او المـدبب او المخروطـي مـن الخارج وهي تقليد بنائي يحاكي استخدامه الرمزية لقبة السماء.

المشـهد: كلمـة اصـطلاحية تدل علـى المكـان الطـاهر الـذي تمّـت فيه مشاهدة تهيئية او حقيقية لنبي او لولي او لرجل صالح ومن ثم اشتهر أو ذاع بين الناس امره، فيشاد عليه او عنده هيكل بناء أو مسجد لكي يزوره الناس ويتبركون به، وعادة ما يكون مقبب.

المقام: وهي كلمة تدل على مكان إقامة او نزول نبي او ولي في يوم من الأيام أو مكان قيامه لصلاته. او لتنسكه او تعبده ومن ثم اشتهر هذا أو ذاع بين النـاس علـى أنـه أحد مقاماتهم فيشاد علـى هذا المكان بناء أو مسجد لكي يزوره الناس ويتبركون به.

المـزار: كلمـة اصـطلاحية تـدل علـى موضـع الزيـارة، مـن أمـاكن الأنبياء والأولياء والصالحين. يقصده العامة من الناس في مواسم واوقات معينة لطلب البركة والشفاعة والمساعدة وايفاء النذور.

العتبــة: وهـي بلاطـة او مرقـاة البـاب، التـي يوطـأ عليهـا للمـدخل الشريف، وغالباً مـا تكون العتبـة من الأرض الغليظ. وهنـا تجـيء لتعني المكان الذي يفصل بين المرقد أو المقام وخارجه..

الزيارة والمزار

الزيارة: لغة هي القصد، وشرعا هي الحضور عند المقصود، من نبيّ او رسول، او ولي صالح أو إمام مبارك. او عالم جليل. وهي عبارة عن الاستئذان عليه بالوقوف في حضرته، والسلام عليه مع الترحم عليه، ومن ثم التوجه الى القبلة والصلاة ركعتين. هذا ولعل المقصود بالسلام عليه فيما ذكرنا هو الاستنابة بالسلام بإجارة أو تبرّع. ويحتمل إرادة السلام تكون عن بعد على أن يكون المراد من البعث مطلق التوجّه به إليه أو بعثته تكون مهداة تنسكا مع الملائكة، مما ورد من أنّ الملائكة تحمله إليه ومما تواتر عن قول الرسول الاكرم: فابعثوا إليّ بالسلام، فإنّه يبلغني. والزيارة هي صلة وصل بين الحي وبين الميت والصّلة بين الأحياء والأموات انما هي علاقة روحانية جارية بين المؤتلفات من النفوس، وكما قال أحد الصالحين «خلق الله الأرواح جنودا مجنّدة ما تعارف ائتلف، وما تناكر منها اختلف». ولقد ورد من الروايات الاسلامية في مشروعية زيارة النبي الاكرم صلى الله عليه وسلم وزيارة الأئمة عليهم السلام والاولياء رضوان الله عنهم،

وشدّ الرحال إليهم، وزيارة قبور الأنبياء والأوصياء والشهداء والعلماء والمؤمنين ما لا يحصى، وأمرها عظيم وفضلها جسيم.

اما المزار: فهو من مصدر زار وجمعه مزارات وهو مقصد الزيارة وموضعها اي مكان حصولها وتحققها وهو ككيان قائم ربما يكون اسمه المقام أو ربما يكون اسمه المشهد، وربما الضريح وهو بناء يُبنى فوق مكان دفن أحد الأنبياء أو أحد الأولياء الصالحين أو مكان صلاتهم وإقامتهم. يزوره الناس لطلب البركة والشفاعة.

وزيارة المزارات، اي مزارات الانبياء والأولياء والصالحين وغيرهم قد تكون شرعية وقد تكون بدعية أو شركية، فإن وقعت الزيارة منضبطة بضوابط الشرع محققة لمقاصده فلا بأس بها، بل تكون حينئذ مشروعة، وأما إن وقعت على خلاف ضوابط الشرع وآدابه ومخالفة لمقاصده فحينئذ ينهى عنها، قال الشريف الرضي:

مزارٌ إذا أمّه الرائدون   أَبَوْا أن يَؤمُّوا سِواه مَزارا.



التبرك بالمراقد

أنّ التبرّك بمراقد الاولياء والصالحين وآثارهم، يعد من الأمور الشائعة والمتعارف عليها في الوسط الشعبي للمجتمع الإسلاميّ، منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا. ولم يفت فقيه بحرمة ذلك بل ان هناك من جوزه ورجحه واستحبه ولكن بشرط ان لا يكون فيه شرك بالله تعالى وعلى هكذا سياق مبتدع قد كان سلوك الكثر من فقهاء الامة يقوم والامثلة على ذلك كثيرة، ففي تبرّك السّلف الصّالح بآثار النبي صلى الله عليه وسلم, يقول الشّيخ نجم الدّين الطّبي: "والحاصل أننا طالما نرى الصّحابة والتّابعين والمحدّثين يتبرّكون بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم, فهذا يتبرّك بفم قربة شرب منها, وثاني يتبرّك بعصاه وثالث بشعره من راسه, ورابع يتبرّك بموضع جلس فيه صلى الله عليه وسلم, وخامس يتبرّك بالخشبة التي كانت له عليه الصلاة والسلام, وسادس يتبرّك بتراب قبره صلّى الله عليه وسلم.... وهلّم جرا. وهؤلاء ليسوا بعاديين، فمنهم الصحابة ومنهم التابعون، ومنهم من أئمة الحديث، ومنهم من أصحاب السنن، أو من مشايخ الفقهاء.

والحق أنّ التبرّك بقبور واضرحة ومشاهد الأنّبياء والأولياء حال مندوب في عرف مجتمعنا المسلم, فقد أورد إسحاق بن إبراهيم في ذلك, فقال: "ومما لم يزل بشأن من حج المرور بالمدينة, والقصد إلى الصّلاة في مسجد النّبي صلى الله عليه وسلم, والتبرّك برؤيته وروضته, ومنبره, وقبره ,ومجلسه وملامس يديه, ومواطن قدميه, والعمود الذي كان يستند إليه ونُزل جبريل عليه, وبمن عمرّه, وقصده من الصّحابة والتّابعين , وأئمة الإسلام والمسلمين والاعتبار بذلك كله يقول الغزالي: وكل من يتبرّك بمشاهدته في حياته, ويتبرّك بزيارته بعد وفاته ويجوز شدّ الرّحال لهذا الغرض.

والمقصود بالتبرّك طلب النماء والزيّادة والخير، والتّبريك الدّعاء للإنسان أو غيره بالبركة، يقول ابن منظور: بركة عليه تبريكا، أي قلت بارك الله عليك، بارك الله الشيء وبارك فيه وعليه وضع فيه البركة. وقال الفرّاء في قوله: رحمة الله وبركاته عليكم، البركات السعادة. وكذلك قوله في التّشهد: السّلام عليك ايّها النبي ورحمة الله وبركاته، لأن من أسعده الله بما أسعد به النّبي صلى الله عليه وسلم، فقد نال السّعادة المباركة الدّائمة، والبركة الكثرة في كل خير. وعن نافع قال:" لو نظرت إلى ابن عمر، إذا اتبع رسول الله

صلى الله عليه وسلم، لقلت هذا مجنون". وقال أيضا: " ابن عمر كان يتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل مكان صلى فيه، حتّى أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشّجرة، فيصب في أصلها الماء. كذلك أورد ابن كثير في مشروعية زيارة قبور الصّالحين والتبرّك بها . فقال عن قبر نور الدّين محمود زنكي: قبره بدمشق، يزار ويحلّق بشباكه ويطيب ويتبرّك به كل مار. كما ذكر السّبكي عن قبر البخاري، فقال: يتبرّك النّاس بتراب قبر البخاري. كذلك وأورد الصنهاجي، فقال: "سألت أحمد بن يكون عن تراب المقابر الذي كان النّاس يحملونه للتبرّك هل يجوز أو يمنع فقال هو جائز وما زال النّاس يتبرّكون بقبور العلماء والشهداء والصالحين، وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة في القديم من الزمان. كما أن الإمام السهروردي أفتى بجواز التبرّك بتراب قبور الأنّبياء والصّحابة فقال: " كانوا (أي الصّحابة) وغيرهم يأخذون من تراب قبر النبي صلّى الله عليه وسلم. وقد ثبت أنّ المسلمين كانوا يتبرّكون بتراب قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقبر حمزة، وبتراب المدينة مطلقا، كما وردت نصوص في أنّ تراب المدينة

شفاء من كل داء، أو من الجذام، أو من الصراع، أو غير ذلك، بل ورجحانه. كما أفتى ابن حنبل بجواز التّبرّك والتّمسح بأضرحة الأنّبياء والصّالحين. قال ابن جماعة الشّافعي، لعبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه رواية، فقال: سألت أبي عن الرّجل يمس منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ويتبرّك بمسه، ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى؟ فقال لا بأس به. كذلك أجاز ذلك الرملي الشّافعي فقال: " إنّ كان قبر نبي أو ولي أو عالم واستلمه أو قبله بقصد التبرّك فلا بأس به ". يقول ابن حجر العسقلاني في جواز هذا الأمر: "استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود، تقبيل كل من يستحق التّعظيم من آدمي وغيره ". فزيارة أضرحة الأنّبياء والأولياء مشروعة في ديننا، فالإسلام كرم الأموات كما الأحياء. وفي ذلك يقول ابن قيم الجوزيّة: قال عبد الله، وقال شيخنا أحمد بن عمرو: " إنّ الموت ليس بعدم، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أنّ الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ومبشرين، هذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كان هذا في الشّهداء، كان الأنّبياء بذلك حق أولى، مع أنه صح عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"أنّ الأرض لا تأكل أجساد الأنّبياء ", وأنّه صلّى الله عليه وسلّم اجتمع بالأنّبياء ليلة الإسراء والمعراج، في بيت المقدس وفي السماء. وفي ذلك يقول الإمام القيروانيّ المالكيّ في التّوسل بالقبور، وفي فصل زيارة القبور: "أمّا عظيم جناب الأنّبياء والرّسل صلّوات الله عليهم أجمعين، فيأتي إليهم الزّائر، ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم فليتصف بالذّل والانّكسار والمسكنة، والحاجة والخنوع، ويحذر قلبه، ويحضر قلبه وخاطره إليهم. وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره، لأنهم لا يبلون ولا يتغيرون، ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله، ثم يصلي عليه، ثم يتوسل إلى الله بهم، في قضاء مأربه، ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم، ويطلب حوائجه منهم، ويجزم الإجابة ببركتهم". وجرت سنته سبحانه وتعالى بقضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم. ومن عجز عن الوصول فليرسل بالسّلام عليهم. والحاصّل أنّ هذه النّصوص والشّواهد التاريخيّة، تدل على أنّ الاستغاثة والدّعاء عند قبور الأنّبياء والأولياء، والتّوسل بهم كان أمرا شائعا بين عوام المسلمين، ويستدلون على ذلك بقوله سبحانه وتعالى: (يا أيها الذين أمنوا أتقوا الله، وابتغوا إليه الوسيلة).

جوازية الزيارة

لقد أجاز الإسلام الزيارة لمراقد واضرحة الصالحين الكرام ولعل خير دليل على ذلك الحال هو حثّ رّسول الانام عليه أفضل الصلاة والسلام على زيارة القبور عموما، اذ قال: " زوروا القبور فإنها تذكركم بالآخرة ". فإذا كانت زيارة قبور المسلمين جائزة شرعا، فالأولى زيارة قبور الأنّبياء والأولياء. فقد صرّح بذلك الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين. وذهب بعض العلماء إلى جواز الرّحلة إلى قبور الأنّبياء والأولياء. أما الذين يحرّمون الزّيارة فقد استدلوا بذلك على حديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، حيث يقول: " لا تشد الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى "، فالمنع من شدّ الرّحال لغير هذه المساجد الثلاثة. ولم يقصد به منع وتحريم زيارة قبور وأضّرحة الأنّبياء والأولياء، فالحديث في المساجد وليس معناها في المشاهد، بل بركة زياراتها على قدر درجاتهم عند الله. ولقد فهم المسلمون من قوله تعالى: (يا أيها النّبي إنّا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا)، أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم هو السّراج المنير، الذي يسرج

المؤمنون منه، ويسيرون فيه إلى الله. وكذلك العلماء والأولياء هم الأسرية الذين يوصلون إلى معرفة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ولا يمكن الوصول إلاّ بمحبتهم والتّأسّي بسيرهم العطرة. والمسلم حين يصل إلى مكان مقدس، وما تقبيل المكان إلا شوقا الى رمزية المكان وقدسيته وروحانيته. والأضرحة شأنها شأن سائر القبور في أن زيارتها سُنة لما فيها من فوائد للزائر والمزور، ففيها للزائر عِبْرَةٌ وعِظة، كما في قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "كنت نهيتُكم عن زيارة القبور، فزوروا القبور، فإنها تزَهِّد في الدنيا وتذَكِّر الآخرة". وقوله: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أُذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها فإنها تذكِّر الآخرة". وقد صح في مسلم إذن الله لنبيه بزيارة قبر أمه، وعدم إذنه في الاستغفار لها. وفي الزيارة نفعٌ للمزور بالسلام عليه والدعاء له، وبما تقدَّم ذكره من أُنس الميت بمن يزوره. وقد علَّمنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ آداب الزيارة التي منها أن نقول ما علَّمه السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحَم الله المسْتَقْدِمِين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون". وجاء في إحدى الروايات لهذا الحديث "تسأل

الله لنا ولكم العافية". كما ان زيارة الأضرحة مثلها مثل زيارة القبور فيها العظة والعبرة، بشرط أن يسلم الزائر من البدع والمخالفات الشرعية، والتبرك، بالمقبورين، فإذا خلت الأضرحة من معنى العظة، والتذكر، وأصبحت مكانا للبدع والمخالفات. وعليه فإذا زار الإنسان الأضرحة بقصد الاعتبار بالموت من غير أن يعتقد فيها خصوصية عن بقية القبور فلا مانع. فالزيارة الشرعية هي أن يكون مقصود الزائر الدعاء للميت ; كما يقصد بالصلاة على جنازته الدعاء له. فالقيام على قبره من جنس الصلاة عليه.. وكان يزور قبور أهل البقيع والشهداء بأحد ويعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم {السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية. اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم} وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: {أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون}. والأحاديث في ذلك صحيحة معروفة. فهذه الزيارة مقصدها الدعاء لهم والترحم عليهم والعظة والتأسي بهم وفيهم.

التوسّل بالصّالحين

إنّ الحياة البرزخي ليست خاصة بالشّهداء، بل عامة بالأنّبياء والأولياء على تفاوت مراتبهم كما قال المظهري في تفسير قوله تعالى: " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربّهم يرزقون ". والحّق عندي أنّ هذه الحياة غير مختصة بالشّهداء، بل موجودة في الأنبياء والأولياء، كما دل عليه التّرتيب في قوله تعالى: " فأولئك الذين أنعم الله عليهم من النّبيين والصدّيقين والشهداء والصّالحين، وحسن أولئك رفيقا ". فإنّ التوسل كما هو جائز في الأحياء، كذلك جائز بالأموات، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه": إنّا كنا نتوسل إليك بنبينا، وإننا نتوسل إليك بعم نبينا ". وكذا التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم وبجاه غير النبي، إذا علم أن له جاها. فهذا القول أيضا صريح في جواز التوسّل إلى الله تعالى، وهذا جائز شرعا، ولا بأس به. أمّا الذي أنكره ابن تيمية فلا يدخل في زيارة قبور الأنبياء والأولياء، فزيارتهم شرعيّة فيما يقصد بذلك السّلام عليهم، والدّعاء لهم. أمّا الزّيارة المحرمة التي أنكرها كزيارة المشركين وطلب الحاجة منهم. كذلك فقد حرم ابن تيمية الاستغاثة بالأنبياء

والصالحين وكذا التوسل إلى الأموات وغيره. والتوسّل والتّشفع بمآل واحد، فإنّما المقصود منها التّبرّك بذكر أحباب الله، الذين يرحم الله العباد بسببهم، سواء كانوا أحياء أم أمواتا. فالموجد الحقيقي هو الله تعالى دائما، وهؤلاء أسباب عادية، لا تأثير لهم في ذلك. وأمّا قول بعض المسلمين: يا عبد القادر أدركني، ويا بدوي المدد مثلا فهما على المجاز العقلي، كما يحمل عليه قول القائل: هذا الطعام أشبعني، وهذا الماء أرواني، وهذا الدّواء شفاني، فإن الطّعام لا يشبع، والماء لا يروي، والدّواء لا يشفي، بل المشبع والمروي والشّافي الحقيقي هو الله تعالى وحده، وإنما تلك أسباب عادية ينسب لها الفعل من حصول بعدها في الظاهر. ويستدلون على ذلك ما رواه البخاري في حديث الشّفاعة، أنّ الخلق بينما هم في هول القيامة، استغاثوا بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى، وكلهم يعتذرون، ويقول عيسى اذهبوا إلى محمد فيأتون إليه صلى الله عليه وسلم، فيقول: أنا لها. فلو كانت الاستغاثة بمخلوق ممنوعة لما ذكرها النّبي صلّى الله عليه وسلّم. ومنها ما رواه الطّبراني عن زيد بن عقبة بن غدوان، عن النّبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إذا ضل أحدكم شيئا, أو أراد عونا ,

وهو بأرض ليس بها أنس، فليقل يا عباد الله أعينوني"، فإن لله عبادا لا يراهم، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فليناد يا عباد الله احبسوا" وقد ذكر هذا الحديث ابن تيمية في كتابه "الكلم الطيب"، وابن القيم في كتابه "الكلم الطيب"، والنووي في كتابه "الأذكار".والمقصود بذلك حضور البركة بخلق الله تعالى، لطفا منه ورحمة بالمستغيث، لكرامة المستغاث به فلهذا فلا أحد غير الله يقضي الحاجة وينجي من الورطة، ومن قال غير ذلك فقد كفر. ولا يخفى على البصير أنّ زائر القبور يقصد بزيارتها، العمل بسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإستشفاع والتوسّل إلى الله بأصحابها والتّبرّك بها، كما في زيارة قبور الأنبياء والأولياء، والاعتبار بالقوم الماضين، تمكينا للخشوع من قلبه، ونيلا للأجر بقراءة الفاتحة، والدعاء لهم بالمغفرة، كما في زيارة قبور سائر المسلمين. ولا أظنّ أنّ الجاهل من الناس، تدفعه جهالته أن يقصد بزيارة القبور والترب عبادتها.



مشروعية زيارة الأضرحة

لقد دلّت بعض الأحاديث الشريفة على إباحة زيارة القبور,. فقد روى ابن بريدة عن أبيه, قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها . ولقد زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه . قال عليه الصلاة والسلام: استأذنت ربي أن أزورها (أي أمه) فأذن لي , فزوروا القبور , فإنّها تذكر الموت". وقد أورد أبو هريرة في مشروعيّة الزيارة , فقال : " إذا مرّ الرّجل بقبر الرّجل يعرفه , رد عليه السّلام , وإذا مر بقبر لم يعرفه , فسلّم عليه , وردّ عليه السّلام ". وقد حثّ ديننا الحنيف على زيارة القبور والسّلام على من فيها , وقراءة القرآن على أهل القبور. وقال المروزي : سمعت أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول : " إذا دخلتم المقابر , فاقرؤوا بفاتحة الكتاب , وقل هو الله أحد , والمعوذتين , وإهداؤها لهم , فإنّها تصل إليهم . قال الحافظ عبد الغني رحمه الله تعالى : والّذي رأيناه في أمصار الإسلام , شاهدناهم حيث يموتون , أو يموت الميت منهم , يقرؤون القرآن عنده قبل دفنه , وعلى قبره إذا دفن , ويجتمعون على ذلك , ويحرضون عليه . ومن قدر على ذلك بنفسه فعله, أو

استعان بمن يمكنه الاستعانة به على ذلك ... ومنهم من يقرأ القرآن على قبر أبيه , راجين من الله المثوبة والإحسان هم ولميتهم , ومن لم يفعل ذلك رأوه مقصرا, ولا ينكر ذلك منكر, بل يحبّونه ويستحبّونه , ومن المباح كذلك ما يسمّى ختمة القرآن على الميت وفي ذلك يقول الحافظ أبا العزيز عبد المغيث بن زهير الحربي: "لما قتل القاضي الشهيد أبو الحسن محمّد بن الفرّاء البغدادي رحمه الله ختم على قبره في يوم واحد زيادة عن مائة ختمة.

وهذا لا يكون إلاّ من جم غفير , ولتطابق مثل هذا القدر الكبير من النّاس على مثل هذا وفعلهم له . ولا منكر ولا عائب يصير كالإجماع . ومن ذلك ما أورده معقل بن يسار , قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقرؤوا سورة يس على موتاكم .

وكذلك ما رواه مبشر بن إسماعيل عن عبد الرّحمن بن العلاء أنّه كاتن قد أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة، وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك كما أنّ عبد الرحمن بن العلاء، عن أبيه أنه قال لولده: "إذا أنا مت، وأدخلتموني في اللحد، فحثوا عليّ التّراب، وقولوا بسم الله، وعلى ملة رسول الله، وسّوموا عليّ التراب واقرؤوا عند رأسي بفاتحة الكتاب، وفاتحة سورة البقرة.

شذرات عن حاضرة المزارات

لا غرو في ان المزارات التي سوف أتداولها في هذا الكتاب، انما تنتمي لمدينة تكريت العراقية الشهيرة، والتي هي بحسب التوصيف المدني لها تعد من المدن القلاعية. فهي مدينة بالحصانة وثيقة، رافدينية عتيقة، متوسطة الحجم، ثابتة المساحة، متنعمة الحال، تلاعية الساحة، طقسها متنوع ومناخها يمتاز بالاعتدال، واما بحسب التعريف الحضاري لها. فهي اول موقع انطلقت منه شرارة التأليف في لغة الضاد، ولقد كانت في العصور الوسطى قد شكلت مركزا فكريا وثقافيا حضاريا، يشار له بالبنان ومركز تجاريا مهما تسير نحوه الركبان. وفوق هذا وذاك فان تكريت من المدن العتيقة، واسمها من تراث لغوي قديم تصريفه يعني القلعة او الثغر ولقد تقلبت عليها الايادي منذ الازل مارة بأدوار حضارية مختلفة ومتتالية كالاكدية والاشورية والبابلية والسلوقية والآرامية فالعربية فكانت في كل تلك الاعصر قلعة ذات اهمية ولقد ختمت سفرها العتيق ذلك بان اضحت في حقبة ما قبل الإسلام حاضرة لسريان المشرق ثم عادت فباشرت مشوار سفرها ضمن حضارة العرب منذ فتحها في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في

١ حزيران عام ٦٣٧م الموافق ٢جمادى الاولى عام ١٦ هجرية فأضحت بهذا الحدث كورة إسلامية ناهضة وقاعدة فتوح مهمة. ثم ما فتئت ان صارت من اهم أعمال الخلافة الراشدة ومن ثم الاموية فكانت كثيرة الموارد والخراج يجمع منها بكثرة. وحينما أشرق العهد العباسي باتت أوفر نصيبا من غيرها في الاهتمام والأهمية في كافة النواحي الحضرية. سيما بعد أن أضحت حاضرة الخلافة قربها فغصت بالخلق من شتى الأعراق وحفلت بالمساجد ومصانع الحرف والأسواق والحمامات واهتمت ببناء المدارس والربط ودور الحديث ودور الإقراء وصار لها دور بارز في الحركة الفكرية التي ازدهرت في العالم الإسلامي ولقد أنجبت العديد من العلماء في فنون المعرفة واعتزت بجماعة من العلماء الأعلام من الذين أشارت إليهم المصادر ولاسيما كتب التاريخ والتراجم والبلدان.. ايضا عدت إحدى دور سك النقود، كما وكانت إحدى أهم مدن صناعة الفخاريات والزجاجيات المنقوشة والمزخرفة في الحضارة الإسلامية. وكانت تمتلك قنطرة حسنة لأمور الري والزراعة وأشهر المحاصيل التي باتت تنتجها هي البطيخ والسمسم فضلا عن القمح والشعير وكذلك اشتهرت بتربية

الماشية وبالأخص الأغنام. أما الصناعة فيها فكانت تقوم على الإنتاج الزراعي وترتبط به وبالإنتاج الحيواني وخاصة صناعة غزل الصوف إذ كان صوفها من أفضل الأصواف في الدولة العربية وهو يأتي في المرتبة الثالثة في الجودة بعد صوف مصر وصوف أرمينية. وأما التجارة فإن لموقعها الأرضي أثرا مهما وواضحا على أن تكون سوقا تجارية عامرة ومحطة لاستراحة القوافل البرية منها والنهرية التي تستخدم الارماث النهرية التي اشتهر أبناء تكريت في تسييرها في دجلة عبر التاريخ. مما جعل وصفها في بعض الرحلات بأنها (حفيلة الأسواق). ولقد أطنب في وصفها الكثير من المؤرخين والبلدانيين. أما أخبار الأعلام من أبناءها فلقد كان لهم حضور واضح في كتب الطبقات فيقول السمعاني عنها: (خرج منها جماعة من العلماء والمحدثين) وأما الحموي فيقول عنها: (ينسب إليها من أهل العلم والرواية جماعة) وقد وسمت بصفة مستحفظه في عهد تغلب السلاجقة في العراق وكان لها عندهم شأن وأثر كبيرين مثلما كانت لها حظوة ومأثرة بالغتين بصفة أنها كانت من المعاقل الحصينة والشهيرة. ولقد توافرت عليها ابان تلك الحقبة أسباب الحياة الرغيدة ونعمت في

بحبوحة من الرفاه ولكن الزمان أدار لها ظهره حيث طالتها يد التقتيل والتخريب على يد المغول بقيادة هولاكو ثم على يد تيمور لنك على التعاقب مما جعل الكثير من أهلها يرحلون عنها الى الاصقاع البعيدة الامر الذي جعلها تمسي بليدة صغيرة بيد انها ما فتئت ان عاودت النهوض مع مبتدأ الحكم العثماني للعراق فأصبحت في شوطه الأول (سنجق بكي) أي لواء ثم اعيد النظر في مستواها فرسمت بدرجة ناحية تابعة لقضاء سامراء منذ (١٨٧٢م) وفي مطلع العقد الأخير من العهد الملكي في العراق أي في عام (١٩٥١) رسمت قضاءا تابعا للواء بغداد ثم ماهي الا دورة زمنية لها ضمن عجلة النهوض الحضري حتى رسمت في عام ١٩٧٦ م مركزا لمحافظة عراقية مستحدثة صارت تحمل اسم ابن تكريت البار القائد الفاتح يوسف صلاح الدين الأيوبي.

ولقد اختصَّ الله تكريت بمزايا جليلة عُرفت بها، كان من بينها انها ولادة للعلماء والحكماء والفضلاء منذ تفتق مدنيتها والى الان. فكانت على طوال تاريخها المدني مقصد فضلا على كونها مخرج

فمع ايقاد مشعل التبشير النصراني في المائة الاولى للمسيحية كانت لتكريت في خضمه ادوار واثار. ومع بدئ صدح الصحابة الاغيار بنشر رسالة الاسلام كانت لتكريت مشاركات واخبار.

ثم نشأ من بعدهم جيل من التابعين لهم بإحسان، فضلاً عن أعلام من القراء والمحدّثين والعلماء والزهاد.. فقد أنجبت العديد من العلماء المسلمين والنصارى وفي فنون المعرفة وابواب الفكر واعتزت بجماعة من العلماء الأعلام من الذين أشارت إليهم المصادر ولاسيما كتب التاريخ والتراجم وفنون الادب ولم يقتصر ذلك على الرجال، بل ظهرت منهم نساء فضليات عُرفت منهم محدثات وزاهدات كالمحدثة والفقيهة تاج النساء بنت فضائل بن علي التكريتية والفقيهة زينب بنت الحسين بن مناع التكريتية.

ولقد استمر العطاء العلمي بتكريت على القرون المتتالية بكل تخصصاته، ونضج على نحو خاص علم الحديث وأثمر، وآتى أكله، فرحل إليها طلاب العلم يأخذون عن الشيوخ والشيخات، وعني العلماء التكارتة بأبنائهم ورعوهم، فتخرج من الأبناء ثم من الحفدة علماء تابعوا الآباء والأجداد وخدموا العلم خدمة جليلة.

ومن هنا نشأت في تكريت بيوت كثيرة تسلسل فيها العلماء، لم يقتصر ذلك على العلوم الشرعية بل امتد إلى سائر العلوم

وقد عزز ظهور الأبناء المتابعين لآبائهم نشأتهم في بيئة يتفتح وعيهم فيها على أب قارئ أو مهندس وعم محدّث أو طبيب وخال شاعر أو فلكي وجدّ أديب أو فقيه.. وهكذا، ويكون هؤلاء كلهم قدوة ومثلاً للنشء والجيل فيحصل الأبناء على ذخيرة معرفية وعلمية غنية، يحافظون عليها ويزيدون فيها.. فتصنع منهم البيئة والاكتساب علماء إذا توافرت لهم الموهبة.. والموهبة هبة من المولى، وفي تكريت منها شيء كثير ومنّة من المولى تعالى.

ومخلص القول عن مدينة تكريت القلعة الشماء والحاضرة الخالدة رغم عسف البقاء، هو انها مدينة ازلية ممتدة بحيوية، دافقة بالمبتدعات الحضارية التي تتطلبها ضرورات الحياة الإنسانية ولعل منها مبتدع المزارات الذي زامن تعرفها على ظاهرته فجر معرفته في الارجاء الإسلامية فصارت تعنى بحالته كحاجة فطرية وتمنحه بعدا ذا أهمية وان من أسباب اهتمامها بهذا المطلب او المبتدع والعناية فيه هو طبيعة ونهج التداول للعقيدة الدينية لموجات سكانها على التوالي، اذ انها ذات طبيعة ونكهة تصوفية.

وقفات عند مظهر المزارات

ان ظـاهرة المـزارات ومظاهرهـا انمـا هـي ظـاهرة لهـا جـذورها التاريخية فهي قديمة بقدم وعي الانسان لذاته حيث كان الانسان البدائي يؤمن بوجود قوى مسيطرة عليه ذات قوى اقوى من قدراته. وعلى ذلك ابتدع حالة القربان كحالة شيئية لتحقيق التقرب منها. وعندما نزلت الشرائع السماوية وظهر الرسل والانبياء آل لهذه الظاهرة ان تهذب وان تقنن طقوسها بما لا يتنافى والتوحيد.

ومع ان الزيارة على وفق الشريعة الاسلامية كانت مستحبة الا ان الجيل الأول للمجتمع العربي الاسلامي ابان صدر دولته قد قلل مـن امـر الاهتمـام بمراسـمها وخاصـة مراسـم الزيـارات لمثـاوي الـذوات، مثلمـا تـرك مسـالة الاهتمـام والعنايـة بالشكل الخـارجي للقبور لكن مع توسع حياض دولة الإسلام واختلاط القوميات فيه، تأثر افراد المجتمع العربي الإسلامي بمظاهر وعادات كانت تسير عليها تلك الشعوب التي باتت منظمة اليهم كالفرس والسلاجقة والهنـود وغيـرهم فأخـذوا عـنهم بعضـها كمثـل بنـاء الأضـرحة والمقامات فوق قبور رموزهم وعظماء عصرهم تخليداً لذكراهم.

ولعل من بين المخرجات التي تترشح لدينا عن ذلك هو ان تلك الجماعات الإنسانية التي اخذ عنها وتأثر بها العرب المسلمون قد كانت تولي، اهتمامها بالأضرحة، لما تحمله بالنسبة إليها من معان ثقافية وحضارية متنوعة، تختلف باختلاف التجارب التاريخية والاجتماعية لكل جماعة، وباختلاف العقائد الدينية والسياسية السائدة فيها ومن أهمها رغبة الأحياء في أن يكونوا أوفياء لماضيهم، وبخاصة أن مصيرهم لن يختلف عن مصير سابقيهم، وبهذا يرتبط التفسير الأنثروبولوجي مع التفسير النفسي.

وهكذا أصبح المجتمع العربي الإسلامي يعرف بناء وإقامة المزارات بما تعنيه من مقامات او مشاهد او مراقد واضرحة وقد دعيت الأبنية المشيدة على مكان ثوي او مكان إقامة او مكان تراءي (تجلّي) شخصية من أصحاب المنزلة الروحية بأسماء مختلفة كمقامات ومشاهد ومراقد وروضات وعتبات (مزارات) وهي انما تأتي متوافقة مع الحالة المعينة وكل على حسب طبيعتها.

فالمشاهد (جمع مشهد) هي كمدلول معماري عبارة عن عمائر باهرة القدسية، احيانا تضم في احدى اجنحتها مراقدا يعلوها اضرحة وأحيانا تأتي خالية من أي ضريح انما تضم بدلا عن ذلك

امكنة يطلق عليها الغيبات، وهي في حالتها هذه انما تعد امكنة تراءى ومشاهدة روحية لأولياء او لأئمة او لأنبياء او لأصفياء فيهتم فيها ويجزل لها الاعتبار والوقار بالتشييد والرعاية والوقف وتقدم عندها القرابين وتوفى فيها النذور تعبيرا عن عاطفة روحية.

اما المقامات (جمع مقام) فهي مُشيَّدات معمارية تُبنى تشريفا لإحدى الشخصيات الطاهرة لاسيما أصحاب الحظوة في الصلاح وهي تختلف عن غيرها من المنشآت من ناحية أنها ليس بالضرورة أن تكون مكان ثوي بل من الممكن أن تكون مكان تشرف بإقامة صلاة او أداء تنسك او تعبد للذات المعينة أو مكان ممارسة طقس محدد لها فيه أو انه ربما كانت فقط مرت على المكان ومن ثم اشتهر هذا أو ذاع بين الناس على أنه أحد مقاماتهم فشيّد على هذا المكان بناء تشرّف روحي يزار ويقصد.

واما الاضرحة التي هي من مصدر ضرح فهي عبارة عن معمولات او مشيدات ريازية للتفخيم والرمزية والتعظيم، تعمل على قبور من يتمتعون بمنزلة دينية او روحية استثنائية وتأخذ الاضرحة أهميتها من أهمية الاشخاص الذين دفنوا او ثووا فيها، اذ غالباً ما تتحول تلك الاضرحة إلى رموز ثقافية توحد بين

مجموعات كبيرة من الناس، تفرق بينهم الأزمنة أو الأمكنة، فتلتف حول تلك الاضرحة جماعات من الناس متعددة اللغات والقوميات

وبمقدار ما يصبح صاحب الضريح رمزاً ثقافياً وحضارياً، تولي الجماعات الإنسانية اهتمامها بالمكان الذي دفن فيه، فقد يتحول الضريح إلى مزار يفد إليه أبناء هذه الجماعات من أماكن بعيدة جداً على الرغم من اتساع الفجوة المكانية التي تفصلهم عنه، وينفقون الكثير من عائداتهم المادية في سبيل ذلك، وقد تأتي هذه الزيارات في مناسبات محددة ومواسم سنوية أو موسمية بحسب البنى الثقافية السائدة لدى هذه الجماعة أو تلك وإلى جانب ذلك، هناك العدد الكبير من الأضرحة ذات الصبغة المحلية، التي لا تجاوز حدود الجماعات القريبة منها، غير أنها ليست أقل قدسية من سابقتها بالضرورة بالنسبة إلى هذه الجماعات، لا بل يمكن أن تكون أكثر قدسية، وأكثر أهمية، ويمكن أيضاً أن تنحر عندها الأضاحي، وتقدم القرابين، وتوزع الصدقات، وتتشكل لجان الأعمال الخيرية والتطوعية وما شابه ذلك. ويلاحظ في كثير من الأحيان أن بعض تلك الأضرحة تشاد عند دور العبادة والمساجد.

وبشكل عام فان كل ما تقدم وغيره مما لم نشر والذي يندرج ضمن باقة المزارات من النادر أن تجد دولة إسلامية لا تنتشر فيها صروحه ومثاباته التي تجيء كما أسلفنا بأشكال ومسميات كمثل الأضرحة والمقامات، التي تضم رفات من يعتبرهم الناس "أولياء"، ويخصصون أيامًا للاحتفال بهم سنويا، او لزيارتهم اسبوعيا.



تكريت وممتلكها من المزارات

على الرغم من ان تكريت كحاضرة ليست الا جزءا من حالة مدنية أكبر، وان مجتمعها بأعرافه وعاداته وطقوسه لا يختلف عن مجتمعات المدن المجاورة لها والمترابطة معها حضريا وبشريا، لا ضير من ان نخصها في كتاب يتكلم عن ظاهرة المزارات فيها.

وهكذا نقول ان تكريت كانت قد تعرفت على ظاهرة المشاهد والمقامات والمراقد في عهد مبكر لظهورها كمبتدع زيارة وتيمن، بيد ان اخبارها قد عميت واثارها قد درست لظروف عديدة. فلم تتهيأ بين أيدينا عن أماكن الزيارة الروحية والعتبات التكريتية معلومات وافية وكافية كما هو متوفر في مثيلاتها من المدن غير لمع نزرة كنا قد استللناها مما وصلنا من غبار الاخبار ولعل وراء ذلك جملة عوامل أبرزها كما أرى هو ما تعرضت له من حصارات او من دمارات على يد المناوئين او الغزاة او من نوازل طبيعية كانت اوسعها حيفا عليها وعلى ما تضم من منشئات هو دمار التتار المهول لها والذي لم يترك حجر على حجر فيها ولكن مع كل ذلك فقد تمكنا من العثور على نتف من اخبار مزاراتها.

فلقد جاء في كتاب (كتاب الكامل في التاريخ) لعز الدين ابن الاثير عن تكريت؛ انها كانت في منتصف القرن الخامس الهجري تضم مشهدا دينيا خاصا لـ (الخضر) العبد الصالح عليه السلام.

وجاء في (كتاب الإشارات الى معرفة أماكن الزيارات) للإمام علي بن ابي بكر الهروي عن تكريت؛ ان فيها مشهدا للإمام على (رض). فضلا على ذلك ذكر العلامة ابن شهر اشوب في كتابه (مناقب ال ابي طالب) ان في تكريت مثلما في الموصل مشهدا طاهرا اسمه (مشهد الكف) وهو من خوارق العادة والآثار الطاهرة.

واما عن الترب في تكريت فقد جاء في كتاب الإشارات: ان في جبانتها جماعة من الصالحين والعلماء من اهل الحديث. فضلا على من ذكرهم أصحاب التراجم والمشيخات من فقهاء وقراء.

هذا كل ما جاء يتعلق بالمزارات في تكريت ابان عصر حضارة الاسلام الزاهرة حينما كانت تعد من بين حواضره ومدنه المهمة وهو امر مؤسف ومجحف اذ انها وبحسب متابعتي لأخبارها وادوارها في عصور ايناعها حيث أضحت فيها احدى ابرز الأمكنة المشعة التي تشد اليها الرحال لطلب العلم الديني واللدني

مثلمـا أضـحت منبعـا لإخـراج الفضــلاء مـن العلمـاء والاعــلام المباركين والرجال الصالحين او لاستقرارهم ونزلهم وما يحتمه ذلك او يفرضـه مـن ان تكـون حاضـنا لرفـات المبـاركين وذوي المنزلـة الروحية العالية منهم ما ينتجه ذلك في قيام امكنة طاهرة تزار.

واما عن تكريت الحاضر الرطيب بامتدادها الى عقود من الماضي القريب فبلا شك وهو حال طبيعي انها قد باتت تمتلك او تحتضن عددا من المزارات (المراقد والاضرحة) من التي تجيء امكنتها الطاهرة متناثرة المعالم في أنحاء من خارطتها المدنية الحديثة، ولعل من أبرزها واهمها في وجدانية أهلنا: مزار الأربعين ولي ومزارة محيسن وقبة محمد البدر ومرقد الهبهاب وقبر شيخ إسحاق وقبر منصور وقبة جريم وقبة منصور وغيرها هنا وهناك.

وحقيقة، فان هذه المزارات التي اقامتها وجدانية المجتمع التكريتي المعاصر قد صارت بعنايته واهتمامه تعد ملاذات روحية عامرة بالتعظيم والتفخيم على الرغم من كون بعضها قد قام على غيبيات وليس على يقينيات وأنها في هوياتها ما برحت يعتورها عدم التثبت فقد أولاها التكريتيون جل التقديس والاهتمام والتبجيل. فكان الرجال منهم يعدونها مرتاد تيمنهم وشباك توسلهم ومحل تبتلهم

وركن تضرعهم. وكانت النسوة منهم ترتادها في عصاري أيام الخميس والاثنين وأيام الأعياد وكانت تقام عندها نزه المتعة وجلسات شرب الشاي والمشهورة شعبيا باسم (حفلة شاي العباس). ولا يقتصر على ذلك بل يتجاوزه اذ ان نظرتهم اليها كمفاتيح للحلول والبعض انما يعتبرها عيادات طبية يزورونها وفي نفوسهم طلب الشفاء من الاسقام والادواء والبعض انما يعتبرها لاستجلاب الفأل الحسن والنجاحات أيضا كمتوسل لضمان نوال المنالات.

ولعل وراء كل ذلك تكمن صوفية الشعور الروحي الذي كانت تحمله وجدانية المجتمع التكريتي حيث انه بات يقوم على فكرة مفادها ان زيارة الاضرحة والمقامات وملامستها والتضرع عندها، هي ازكى وأسمى وأقصر وسيلة روحية للتفريج عن النفوس ولاستجلاب الحظوظ وحل العقد وقضاء الحاجات، تعوض عن ضعفهم وعجزهم الظاهري في تحقيق مطالب ومسائل نفوسهم.

وعلى ذلك فقد تأسس في عقليتهم لأجل هذه المزارات ولغرض قصدها طقوس ومناسك ومواعيد ومراسم ومناسبات مثلما رسمت لها في وجدانهم وفي نفوسهم سلوكيات وتقاليد واعراف وعادات.

المزارات الصغيرة

قبة الشيخ (كريم):

هنالك عند قرية المحزم التي هي احدى الضواحي الشمالية لتكريت وتحديدا ضمن منطقة تلاعية مخددة منها، مشرفة على دجلة من ضفته اليمنى، تشمخ غرفة مربعة الشكل، تعلوها قبة نصف كروية، تحتضن في وسطها مرقدا له قدسية عند اهالي تكريت، ادركتها وقد كانت بناءا متهالكا ثم تم تعميرها في السنين القريبة الماضية، وهي ممن يعتقد فيها الناس في انها مثوى مبارك تحتضن رفات احد أبناء الامام الكاظم من العترة الطاهرة واسمه عبدالكريم لذا صارت تشتهر في البرية ومنذ اكثر من قرن بتسمية مرقد (سيد جريم او مزار شيخ كريم بن الكاظم)، حتى ان الرحالة الأجانب الذين مروا من قربها صاروا يذكرونها بهكذا صفة نقلا عن الاهلين، وكان من بينهم البحاثة الجيكي الواموسيل الذي جاءت اشارته عليها بحسب ما كان متداولا بين اهل تكريت.

بيد انني وبنظارة الخططي تجيء نظرتي الى الموقع مغايرة لما يعتقده الاهلون فيه بالتوارث، ولي في ذلك وجهة نظر وخلاصتها:

ان مزارة (جريم) أو شيخ كريم، التي قد اعتنت في هويتها ذاكرة اهلنا الطيبين الجمعية في تكريت فجعلتها ضريحا إسلاميا طاهرا بعد ان اعتقدت بها انها من مثاوي ال البيت الاطهار وان صاحبها انما هو من أولاد الإمام موسى الكاظم (رض) وان اسمه هو شيخ (جريم) او سيد كريم بن الامام موسى بن جعفر (رض)، انما هو عندي ليس على ذلك الحال بشيء. اذ ان جميع مصادر ومراجع التاريخ والانساب من التي تكلمت عن سلسلة العترة الطاهرة وترجمت لها لم تشر إلى إن للإمام موسى الكاظم (رض) ابنا اسمه عبد الكريم، ومن بين تلك المصادر كتاب عمدة الطالب لابن عنبة وكتاب مقاتل الطالبيين للأصفهاني وكتاب الفخري في انساب الطالبيين لابن طباطبا فضلا على كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير وكتاب انساب الاشراف للبلاذري، اذ ان هذه المضان كلها وغيرها والتي هي لدى كل طوائف الإسلام تنفي ان يكون للإمام موسى الكاظم(رض) ولدا او حفيدا اسمه عبد الكريم.

ثم ان كل الذين تحروا في الموضع الأثري المذكور من رجال دائرة الآثار لم يعثروا على أي دلائل أثرية ملموسة أو محسوسة تؤكد هويته الإسلامية التي ما فتيء يشتهر بها بين الاهلون.

فضلا على أن الكشف الأخير الذي جرى في المكان والذي ترأس فريقه الخبير حافظ الحياني بكونه في حينها مديرا لاثار صلاح الدين والذي جاء تحت اشراف لجنة خاصة كانت قد شكلت لهذا الغرض من قبل ديوان رئاسة الجمهورية، قد بين وبما لا يقبل الشك: (أن رفات صاحب القبر هي لصبي عمره بين ١٢-١٥ سنة بحسب تقرير الطبيب الشرعي المرافق، وأن الرفات بحسب الحكم الشرعي الإسلامي هي لشخص غير مسلم لكون رأس صاحبها قد وجد متوجها في دفنه نحو الشرق وليس نحو قبلة المسلمين، وانه مسجى ضمن مكان هو عبارة عن مذبح كنسي).

كما ولقد عززت عملية البت في الامر حينها الاتصال بنخبة من المختصين والمعنيين في تاريخ وتراث مثاوي ال البيت، منهم الأستاذ الدكتور حسن الحكيم عميد الدراسات الإسلامية في جامعة الكوفة والأستاذ شاكر عبد الزهرة مدير آثار النجف.

وعلاوة على كل ذلك فأنني شخصيا أرى بان موقع (كريم) هذا ليس يعدو الا ان يكون موقعا أثريا لبلدة سريانية آرامية مندثرة من نواحي محيط تكريت، كان قد ورد اسمها في بعض المصادر السريانية بصيغة جروم أو كروم وذكرت كمركز أسقفية. بيد ان

تلك المصادر كانت قد سكتت عن تعيين موضعها ضمن خارطة تكريت سوى القول عنها بانها بلدة من ضواحي تكريت غير إنني ومن خلال استخدامي لفكرة استثمار الاخبار في الاستدلال على الاثار أرى وأجد بأن موضعها انما يتطابق وموقع كريم أو (جريم) الأثري الذي جاءت تسميته من قبل الرحالة واليس بدج بـ(أبو خلخلان) والذي كشفت التنقيبات الأثرية فيه انه: (موقع مدني يعود لفترة ما قبل الإسلام وموضعه في شمال تكريت وهو مطل على نهر دجلة من جهة الغرب) الامر الذي يدعم رؤياي فيها.

وأما التغيير الحاصل في لفظها فأرى انما هو متأتي من كون أهلنا في تكريت لديهم إمالة في النطق لبعض الحروف، فمنها أنهم يحولون الواو او يقلبونه إلى ياء فمثلا هم ينطقون السوق- سيق والطابوق - طبيق وفوق- فيق وصندوق - صنديق ومغلوق - مغليق ومحروق - محغيق، فلا غرابة إذا في أنهم قد نطقوا اسم بلدة جروم أو كروم بلفظ جريم أو كريم ولا غرابة إذا عدّو موقعها مدفنا إسلاميا بعد أن انطمست معالم المدينة برمتها وتلابست الأدوار التي قامت فيها وتداخلت، وعلى قول المعري:

ودفين علي بقايا دفين   في طويل الأزمان والآباد

وبهذا الطرح فإنما اكون قد سعيت بموضوعية وعلمية نحو تصحيح هوية معلم من معالم تراث مدينة تكريت داعيا الى اعادة النظر في اسمه وصفته السائدة اليوم توهما وجهلا، اي تحويل الاشارة اليه بكونه مرقدا اسلاميا واعتباره موضعا أثريا قديما ليس غير. واما عن ما هو ذائع بين أهلنا حوله من اعتقاد فإنما ينطبق عليه قوله تعالى: (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم). وللفائدة نقول: انه كان ضمن اعضاء اللجنة الخاصة التي اشرفت على اعمال الكشف في المرقد: المحقق للتراث الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ومدير اوقاف صلاح الدين حينها الأستاذ محمد عثمان وطبيب من مستشفى تكريت هو الدكتور صلاح الدليمي واحد رجال الدين في تكريت وهو ملا إسماعيل السلطان.

قبة الشيخ إسحاق:

قبة تزار، تقع في جنوبي مركز تكريت القديم، عند أسفل الجرف النهري ما بين العوجة وتكريت وتحديدا في الساحل الغربي لدجلة، حيث رأس الكتف للوادي المعروف بوادي إسحاق. وهي قبة مجددة، وتضم تربتها مرقدا ذا قدسية عند الناس هناك، وهي تقوم على اسس غرفة أقدم منها، قد كانت فيما مضى مبنية بالجلمود

والجص ولكنها بفعل التقادم قد زالت إلا بعض الاسس منها، أدركتها والناس توقد في كوّتها أصابع الشموع وتشعل اعواد البخور وتدمغ على جدرها كفوف الحناء وتطلق عليها تسمية قبة (شيخ إسحاق) وهو الذي يعتقدون فيه انه من أبناء العترة الطاهرة وان اسمه هو السيد إسحاق ابن الامام موسى الكاظم (رض).

بيد أن بحثي الخططي وتحققي التاريخي عن مرقده صار ينفي هذا الاعتقاد الذي تحمله وجدانية الاهل في تكريت عنه ويفنده.

إذ انني وبعد لايء في النظر في تراث رجال الاسلام قد انتهيت الى رؤية حول الرفات التي يضمه هذا المرقد ومفادها هو انها قطعا ليست لشخص السيد إسحاق ابن الامام الكاظم (رض) وإنما هي لشخصية اخرى من ثلة علماء امة الإسلام، قيمتها وقدرها كبيرين في سلم الصلاح وهي في موازين المنزلة بذات الوزن الاعتباري، فضلا عن ان تراث العترة الطاهرة لا يؤيد ما يذهب اليه الناس اذ ان المؤكد والمثبت في جميع المصادر والمراجع الإسلامية التي تخصصت او عنت بذكر وحفظ تراجم ال البيت يجيء القول الصريح بأن السيد إسحاق بن الإمام موسى الكاظم رضي الله عنهما كان قد توفي في عام ٢٤٠هجري ودفن في

المدينة المنورة، ولا شيء يناقض هذا. انظروا حول ذلك كتاب العترة الطاهرة لـ كمونة وكتاب المشجر الكشاف للعميدي وكتاب منتهى الآمال للقمي وكتاب أعيان الشيعة للعاملي وكتاب الرجال للطوسي فضلا على كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير وكتاب سر السلسلة العلوية لابي نصر البخاري وهي مضآن ثقة واصيلة وحافلة بالمعلومات عن الشخصية المذكورة.

وأما صاحب الغرفة المقببة في تكريت والمشهور بالشيخ إسحاق فان أبرز ما استدليت به على هويته الحقيقية نصا مهما أورده مؤرخ ثبت في كتاب ثبت واقصد به ابن الدبيثي وكتابه هو (ذيل تاريخ بغداد).إذ انني وبضوء ذلك النص أجد ان الضريح لا يعدو إلا أن يكون قبر المقرئ والمحدث السند (عبد الجبار الحصري الازجي) الذي عدّ من علماء بغداد الأعلام في القرن السادس الهجري والذي جاء عن وفاته في عام ٥٧٩هـ ما نصه: (انه بينما كان الشيخ الأجل الصالح أبو محمد عبد الجبار بن أبي الفضل الازجي القفصي الحصري المقرئ والمحدث السند وجماعة من محدثين يستقل كلكا من الموصل نحو بغداد أدركته المنية عند تكريت وتوفي شهيدا عندما نزل عليه (انهال) جرف إلى جانب

دجلة بقرب تكريت وهلك تحته دون أن يستطيع رفاقه عن كشفه).
وهكذا حتم على رفاقه في الرحلة دفنه ثم قاموا بأعلام موضع مدفنه بعد مغادرتهم للمكان ثم الإشارة إلى ذلك في كتاباتهم خلال ترجمتهم له ثم وبعد اشواط من تعاقب الأحوال والاقوام وتداول المراحل والدول ظهرت للناس في المكان معالم هذا المثوى بيد انه قد عمي عنهم اسم صاحبه المذكور مما اكتسب اسما جديدا اجده ان له علاقة بإسم مكتشفه ومرمم قبره ثم مشيد اول قبة عليه.
ولعل ذلك تم ابان العهد العثماني استنادا لمعلومة قد توفرت لي من احد كبار السن من منطقة العوجة تفيد بان القبة القديمة التي كانت على مرقده كان الذي بناها احد رجالات حكومة تكريت في العهد العثماني الأخير وكان اسمه إسحاق بك الناصري. وعليه فلا ولن اجانب الحقيقة إذا ما قلت انه ذاته اسحق بك الذي كان مديرا لناحية تكريت (تكريت ناحية سي) في العام ١٢٢٠هجري.

وبهذا الطرح اكون قد سعيت نحو تصحيح هوية معلم من معالم الزيارة الدينية في تكريت داعيا الى تغيير اسمه من مرقد السيد اسحاق بن الكاظم الى مرقد المحدث السند عبد الجبار الحصري.

واما عن ما هو ذائع بين أهلنا حوله من اعتقاد كذلك هون ينطبق عليه قوله سبحانه وتعالى:(فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم).

مشهد الكف:

هو موقع زيارة اسلامي غير معلّم الموضع، كان قد ورد ذكره في كتب التراث الشيعي، فضلا على كتب اخبار التراث الصوفي بصفته ذا هوية طاهرة في وجدان عامة المسلمين من اهل القرن السادس الهجري، وقدسيته انما تنطوي على كرامة تنسب للإمام علي بن ابي طالب (رض) ومفادها هو: تراءى لدمغة من أثر كفه الشريف الذي جاءت مطبوعة على حجر في أحد جدران الموقع، بيد ان هذا الأثر الذي غلف بالطهر والجلال قد باتت تتشارك باحتضانه مدينة تكريت مع مدن الموصل والكوفة والرقة.

ففي كتاب (مناقب ال ابي طالب لابن شهر اشوب)، تحقيق الدكتور يوسف البقاعي، وتحديدا ضمن الفصل الخاص بالمشاهد والمواضع المقدسة التي لها علاقة بآل البيت الاطهار يرد الذكر لمشهد في مدينة تكريت معطوفا على الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذ جاء القول فيه «ومشهد الكف في الكوفة وفي تكريت وفي الموصل وفي الرقة من إعجازه». بيد انه اليوم يجهل

موقعه من قبل الخططيين، فقد عمي أثره لتقادم الزمن عليه، ما حتم اندثاره. ولقد كان اخر ذكر تاريخي له هو وروده في ترجمة لمتولي تكريت في العهد الاتابكي الأمير معين الدين أبو المظفر ارنقش كانت قد وردت في كتاب مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي بما نصه؛ (انه عندما توفي... في تكريت في العام ٥٨٨هجري دفن في القلعة ثم نقل منها الى مشهد الكف).

غير انني وبعد مباحث وتحقيقات ومقارنات أرى بان هذا المشهد الطاهر الذي اضفى عليه الجلالة والطهر من أرخ له. والذي يشتهر بتسمية (مشهد الكف) لا يعدو عندي الا ان يكون هو ذاته (مشهد علي بن ابي طالب) الذي ذكره الامام الهروي في كتابه (الإشارات الى معرفة أماكن الزيارات) انه كان قد شاهده في تكريت في معرض زيارته الدينية اليها دون ان يحدد موضعه فيها. كما ولا يعدوا موضعه المكاني اليوم عندي الا ان يكون ذات (التلة) المجاورة لـ مزارة محيسن أي تل محيسن والتي تضم مثوى الأمير المنصور شمس الدين بن الأمير فخر الدين عيسى بن مودود التكريتي الذي تعلوه قبة والذي يشتهر لدى اهالي تكريت بـ الشيخ منصور. ولعل من علائم قدسيته هذه في تكريت ان أجيال

الناس فيها كانت قد تواترت وتوارثت تسميته بـ مزارة محيسن. كما وانـه كـان الـداعي الـذي آل بـالأمير همـام الـدين تبـر بـن علـي التكريتـي الـذي هـو عـم والـد الأميـر المنصـور لان يبنـي عنـد هذا المشهد مدرسته والتي اسماها(الهمامية) تبركا به وتشريفا لها.

ضريح الهبهاب:

ضريح معلّم مبارك، يشمخ بجلال على الرصيف الشرقي لأسفل شارع الباشا، عند مقتربه مع امتداد جسر تكريت، أدركته شخصيا منذ نهاية الستينيات ولقد كان مظهره وما زال بشكل وهيئة ضريح وسيع، وهـو مكشـوف، ومبنـي بالطـابوق، ويـزار مـن قبـل النـاس للتبرك والتيمن وتوقد في كوة تتصدر جبهته القبلية اصابع الشموع واعواد البخور، خاصة في اماسي كل يوم خميس كونـه فـي وجدان الناس ومعتقدهم انما يعود لأحد كبار رجال الله الغر الصالحين.

ذكـر ان امـره قـد ظهـر بـين النـاس فـي أثنـاء حفـر أساسـات المستوصف الاولـي المشـاد فـي أوائـل خمسينات القرن المنصـرم. ومـن ذلـك الوقـت صـار يشـتهر بـإسم (قبـر السـيد الهبهـاب). واما في خصوص هويته فالحق يقال انها قد بقيت مختلف فيها بـين الاهلـون دون ان تعـرّف او تكشـف عنـدهم شخصـية صـاحبة

بشكل واضح ثم بقيت هويته الملتبسة العائدية تتأرجح بين اراء المؤرخين المحدثين وطبقة المثقفين في المدينة. فمثلا هنالك رأى للباحث في التاريخ الأستاذ عامر البراك يرى فيه انه قبر شادي بن مروان جد السلطان صلاح الدين الايوبي وهذا الراي صار يشاطره فيه الدكتور في التاريخ الأستاذ رعد إسماعيل نعمان، كما وهنالك زعم من اعيان أسرة ال الحداد التي تنتسب الى الدوحة الكيلانية والتي تسكن تكريت بكونه جدهم الأعلى وانه أحد ابناء الشيخ عبد القادر الكيلاني. بينما هو في نظري لا هذا ولا ذاك انما هو عندي لا يعدو الا ان يكون مثوى التابعي المحدث (الحبحاب الموصلي السلولي) الذي يعد من الرعيل الأول لرجال الإسلام في العراق حيث اخضر ونبغ عوده واثمرت حياته في مدينة الموصل ثم ساح منها خدمة للحديث الشريف (نقله ونشره) ولقد أدرك في عمره نهايات القرن الأول للهجرة وهو والد الأمير الجليل والكاتب الثبت عبيد الله بن الحبحاب والي افريقيا وبلاد تونس ومؤسس جامع الزيتونة في القيروان ابان عهد الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك كما هو جد القاسم بن الحبحاب والي مصر أيام هشام بن عبد الملك. وقد قدر له كما أرى ان تكون

وفاته ويكون مدفنه في تكريت التي كانت من اعمال الموصل في حينها بعد ان حل فيها لشأن ربما يكون التجارة او لسماع الحديث او نقله، واخاله هو ذاته التابعي المحدث (الحبحاب بن ابي الحبحاب) الذي ورد ذكره في كتاب ميزان الاعتدال. ولكن قد تحول لفظ اسمه بالتقادم من الحبحاب الى الهبهاب ولعل وراء ذلك الابدال في اللفظ هو المراحل التاريخية التي مرت على الضريح كالجلائرية والعثمانية وما فرضته حالتها من تأثيرات على نطق المتحكمين بالبلدة في تلك الاحيان لبعض حروف العربية ما جعل حرف الحاء في لسانهم يتحول الى هاء فيكون اسم الضريح هو (الهبهاب)، واني عندما ارجح رايي على غيره من الآراء فلان مكان دفن شخصيتي المرجحة هو امتداد لأقدم مقابر تكريت ان لم اقل انه جزء من تلك المقبرة التي كانت والى زمن قريب تسمى (مقبرة الخسفة) والتي هي ذاتها مقبرة الإسلام الأولى في مدينة تكريت بعد فتحها في سنة ١٦هجرية، حيث امتدت بزمنها كجبانة إسلامية حتى العصر العباسي، اذ ان توسع المدينة قد جعلها تأخذ الفسحة الواقعة بمحاذاة سور تكريت الغربي من الداخل.

قبة محمد البدر:

مثوى مبارك يعتقد فيه الناس بانه لأحد كبار الصالحين. أدركته وكان عبارة عن غرفة مربعة مقباة عتيقة، مبنية بالجلمود والجص، موقعها يتوسط مقبرة تكريت الحالية، على تلة منها. ولقد انهارت هذه الغرفة بقبتها في نهاية السبعينات فاعيد بناؤها بالطابوق والاسمنت من قبل أحد الموسرين. وقد كانت والى سنين قريبة مقصد زيارة للتيمن والتبرك، توقد فيها الشموع واعواد البخور وتعرف بـ (حمد البدغ) ولقد خصها بالذكر بعض المستشرقين فلقد أشار الى هذه القبة المستشرق الألماني هرسفيلد عندما مر من قربها في طريقه الى مزار الأربعين، ونسب صاحبها قائلا بانه بن الكاظم. كما وذكر هذه القبة بالإشارة الرحالة الجيكي الواموسيل عندما مر من قربها وهو متوجه الى الغرب من تكريت.

وأما عن هوية الرفاة الموسدة تحتها فأرى بانها لا تعدو إلا ان تكون رفاة الشيخ العارف بالله محمد البدر بن علي الغرس ابن أخو الولي الصالح الشيخ (جاكير) دفين ارض راذان والذي هو يعد من أتباع الباز الاشهب الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره. اذ ان دفينها الشيخ الصالح محمد البدر كان قد حل في تكريت

مجاورا لمزار الأربعين للخلوة والتنسك. وعندما أدركته الوفاة في المكان بعد حين، قدر له ان يدفن على التلة المقابلة للمزار من جهة الشرق والتي هي لا تعدو عندي الا ان تكون آكام (ركام) ذلك الدير العتيق الذي يؤول الى زمن المار احودمه (٥٥٩م)، اول قديس في تكريت والذي جاء يسمى بدير تكريت. فتحولت بذلك هوية تلك التلة من الحالة النصرانية الى الحالة الاسلامية.

مثوى جامع الوسط:

تكريت القديمة التي قد ازيلت في نهايات السبعينيات كانت تضم مسجدا قديما هو في خارطتها يقع جنوبي قلعة تكريت على الكتف الجنوبي لوادي الخر المندرس ضمن محلة القلعة (إحدى محلات تكريت). هذا الجامع الذي جاء يسمى من قبل الاهلون بالوسط لتوسطه مسجدي الشريعة وصلاح الدين باعتبارهما كانا المسجدين الرئيسين للبلدة آنذاك قد كان يضم في احدى غرفه قبرا للعالم الديني والقاضي الشرعي الشيخ رجب بن العالم الديني الشيخ دولت من علماء تكريت الاجلاء وابرز رجالها الصالحين والذي يظهر انه رحمه الله قد كان القائم على نشاط هذا الجامع علما ان هذا الجامع جاء الذكر عنه من قبل اهل الاثار بأنه يعد

من مساجد العصر العباسي الأخير ولقد عثر فيه أثناء استظهار اسسه على مسكوكات ذهبية وفضية ونحاسية كان أقدمها يعود للفترة الايلخانية. بيد انه كان قد استمر في أداء وظيفته الدينية إلى بداية السبعينات من القرن المنصرم بعد أن جدد في مرات متعاقبة منها في عام ١٢٧٨هجري وآخرها في عام ١٩٩١م.

مقبرة الثبوت:

للزائر مركز مدينة تكريت اليوم ممكن له ان يرى ان هنالك خلف بناية محكمة بداءة تكريت الحالية انما توجد مقبرة إسلامية قديمة مباركة، هي اليوم مغلقة اذ انها قد سيجتها دائرة البلدية بسياج من جهاتها الشرقية والغربية فضلا على انها محاطة من جهتها الجنوبية بدكاكين للبلدية ومن جهتها الشمالية بأبنية المحكمة. ويطلق الاهالي في تكريت على هذه الجبانة الطاهرة تسمية مقبرة الثبوت وذلك عن اعتقاد روحي متواتر في وجدانهم الجمعي في كونها تربة طاهرة ومباركة تضم مثاوي ثلة من الغر المحجلين من شهداء الصحابة لجيش الفتح الإسلامي لمدينة تكريت ممن كانوا يتناوبون في حمل راية الجيش الفاتح على التعاقب في الموضع

المذكور إبان معركة الفتح المشرف في عام ١٦هجري. ولقد جعلت من قبل وجدان التكارتة في عهد مضى جبانة مباركة.

قبر المنصور:

غرفة معلّمة تزار من قبل الاهلون هي محل تبرك وتيمن من قبل نسوتهم، تعلوها قبة ظاهرة بناؤها يدل على حداثته، موقعها على تلعة الى جوار تل محيسن الاثري من شماله، تشتهر بتسمية قبة ضريح السيد منصور والذي لم يفصح الوجدان التقديسي لمجتمع تكريت عن هويته ومنزلته مما تركه مجهولا امام الباحثين. بيد انني قد فتح الله لي من أبواب علمه فاستطعت التعرف على هويته بعد شوط من التحري والبحث والتحقق اذ قد توصلت ولله الحمد الى ان هذا المرقد انما هو يعد بنظري من مراقد (العهد الاتابكي) وان الرفات الذي يضمه هذا القبر لا يعدو عندي الا ان يكون رفاة الأمير الفقيه، والفقيه الأمير (المنصور) ابن امير تكريت وراعي مدرستها العليا المسماة بالهمامية الأمير الفقيه (أبو المنصور) فخر الدين عيسى بن مودود بن علي بن شعيب.

وقد جاء عن الأمير الفقيه المنصور شمس الدين في كتاب تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي ان

القاضي تاج الدين يحيى بن القاسم التكريتي قد ذكره في تاريخه او مشيخته المسمى بتاريخ تكريت بصفته ممن قرأوا عليه. الامر الذي يعني ان هذا الأمير الملقب بالمنصور والذي اسمه الصريح خاصبك بن عيسى التكريتي هو انما قد كان من الامراء العلماء.

مشهد الخضر:

للعبد الصالح (الخضر) عليه السلام، اقام المسلمون مشاهد ومقامات مباركة ومقدسة قد تناثرت امكنتها الطاهرة في ارجاء امة الإسلام ولقد كانت اقامتهم لها تيمنا وتبركا وان من بين الأمكنة التي احتضنت هكذا معلم شريف هي مدينة تكريت الحاضرة الشهيرة اذ قد ورد في كتب الاخبار والاثار للمتقدمين والمتأخرين ومنها كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير ان مدينة تكريت تحتضن مشهدا دينيا عتيقا يسمى مشهد الخضر وهو يعد في وجدان مجتمعاتها من الأماكن الطاهرة والعتبات المقدسة حيث توفى عنده النذور وتقدم فيه المناسك وتقصده النفوس للزيارات وللدعاء بقضاء الحاجات وحل العقد واما عن موقعه في الخارطة الاثرية لمدينة تكريت فهو لا يعدو عندي الا ان يكون في مبنى

مـزار الأربعـين ولـي وتحديـدا بتلـك الغرفـة المقبـاة المجانبـة مـن الشمال لغرفة الضريح والتي يطلق عليها الاهلون (مكان الغيبة).

مشهد (الست) نفيسة:

هو قبو مربع الشكل، معقود بالجلمود والجص، موقعه ضمن بناية مزار (الأربعين ولي) في تكريت وتحديدا تحت القاعة التي تحتل الركن الجنوبي الشرقي لخارطة عمارة هذا المزار، ينزل اليه بدرج مزور. أدركته صبيا في بداية السبعينيات وكان يظهر للرائي له كقبو خالية ارضيته من أي مرقد او ضريح سوى انه يضم كوّات في جدره لوضع مسارج الانارة وآنيات البخور واصابع الشموع.

كان هذا القبو في وجدان مجتمع تكريت يعد محل زيارة للتبرك والتيمن والاستشفاء و(الواهلية) وايفاء النذور، وهو عندهم يعرف بمشهد (الست نفيسة)، التي ينعتونها بـ (جدة الويلاد) كما والتي هي عندهم وليّة صالحة، من فواضل نساء الاسلام ومن المبرزات في طبقات الصالحين ممن احتضنتهن بلدة تكريت. بيد ان التاريخ المدون لحد اليوم لا يدعم هذا الزعم الشعبي بأي تأكيد او تأييد.

مزارة محيسن:

هي مكان طاهر كانت توقد فيه الشموع في اماسي الأيام المباركة وموضعه هو أحدى مشتملات(تل محيسن الاثري) الذي كنت قد فصلت عنه في كتابي (دليل الخارطة الاثرية لتكريت) فعزوت طبقاته الاثرية العليا الى القرن السادس الهجري وعزوت طبقاته الاثرية السفلى الى القرن الثالث الهجري واعتقدت بان الطبقات العليا فيه انما هي بقايا او آكام لمدرسة إسلامية كانت قد قامت عند موقع كان قد سبقها في القيام وكان يضم بضعة قبور إسلامية مميزة الدفن لعله كان يشكل مكانا طاهرا دعا لان تبنى عنده مدرسة دينية تشرفا به، واما عن سر اسمه المنوه عنه فلعله ينطوي على اسم لشخصية جليلة وطاهرة كان قد تشرّف بها المكان حلولا او ثويا او مشاهدة او لعله يشير الى واقعة جليلة.

مراقد اخرى:

وفضلا على ما ذكر فهنالك مراقد اخرى تحتضنها تكريت. فمثلا في الحضرة البهية للجامع الكبير المحادد لبيت النقيب يوجد قبر معلّم هو للرجل الصالح، وعالم الافتاء والقاضي الشرعي لبلدة تكريت (الشيخ دولت آل القاضي)، والد العلامة الشيخ رجب

القاضي دفين جامع الوسط. الذي تحدثنا عنه انفا. كما وان (مقبرة تكريت الأولى) التي هي مندرسة اليوم، والتي كانت تعرف من قبل الأهالي في الماضي القريب بتسمية (جبّانة الخسفة) وكان موقعها قبالة تل القلعة من الجهة الغربية، عبر الخندق (المسيلة) فكانت تحتضن عددا من قبور الصالحين والصالحات من سكنة تكريت من الجيل الذي عاصر العهود العثمانية من الذين كانوا مقصد تبرك وزيارة، حيث تعرفنا على هوية أحدها وهو قبر (السيد عبد الله النعيمي) صاحب الكرامات. واما مقبرة تكريت الأخيرة والتي مازالت قائمة اليوم ، فتضم عددا من القبور الطاهرة والمباركة وذات القدسية لرجال ولنساء صالحين ومباركين واطهار ممن باتوا مقصد الزيارة الأسبوعية وفي المناسبات للتبرك وللدعاء وللتيمن ونذكر منها: قبر (السيد يوسف بن حميد) صاحب الكرامات وقبر (الشيخ خلف الرفاعي) صاحب الكرامات وقبر (الشيخ حسين الطعمة) وقبر العالم الجليل (الشيخ داود الناصري) وقبر العلامة الجليل (الشيخ عبدالقادر الالوسي) وغيرهم من الاطهار الصالحين من الذين كانت مثاويهم مواضع قصد وزيارة وحلول من عامة الناس للتبرك والتيمن والتأسي والترحم والتشرف.



المزارات الكبيرة

صرح (الأربعين ولي)

في قلب مدينة تكريت الحاضرة الرافدينية القديمة النشأة والعاصمة الإدارية لمحافظة صلاح الدين. يتربع أثر معماري، شامخ القباب مميز الطرز العمارية وسيع الرحبة. اشتهر ومازال يشتهر لدى الناس في تكريت بتسمية مزار (الأربعين ولي) وذاع عنه بين أهالي تكريت والأنحاء إنه مثوى أربعين شهيدا من شهداء الفتح الإسلامي لتكريت عام (١٦ هجري). ومن هذا تعزى تسميته لديهم. كما وتواتر عند جمهور الناس في المنطقة أنه يضم رفات صحابي جليل هو (عمرو بن جندب الغفاري) الذي يجدون أنه مولى الخليفة الراشد الثاني عمر الفاروق رضي الله عنه، وأنه مقرئ جيش الفتح الإسلامي لمدينة تكريت في العام المذكور.

أما في نظر وأثر المؤرخين والآثاريين المحدثين فالمزار هو عمارة إسلامية متقدمة النشأة، إذ يعود قيامها إلى الربع الأخير من القرن الخامس الهجري وهي في خططها العمارية ومكونها الهندسي تعكس كونها مدرسة إسلامية متقدمة في نشأتها على قريناتها من

المدارس الإسلامية الأول مثل المدرسة المستنصرية في بغداد والمدرسة الكاملية في القاهرة. وتعزيزا لتوثيق أمرها كمدرسة متقدمة نورد ما جاء عن العلامة الأثري بهنام أبو الصوف بشأنها في قوله:(أكدت الدراسة الاثارية والتاريخية المقارنة إن عمارة الأربعين في تكريت هي بقايا لواحدة من أقدم المدارس الدينية التي انشأت في العالم الإسلامي).ولقد قامت عند قبر لرمز من رموز المرحلة الزمنية المذكورة آنفا كان قد ثوى ودفن جثمانه في موضع من جبانة طاهرة تعود لجيل الإسلام الأول كما وحوت حضرتها رباطا ومسجدا وزاوية ومشهدا .وخلاصة القول عن هذا المزار الجليل والطاهر هو أنه يشكل عتبة مشرفة طاهرة ومعلم اثري نفيس وشاخص تاريخي تالد ومقصد اجتماعي بهي وخالد.

هوية الصرح:

يحمل مبنى مزار الأربعين ولي بحالته العمارية أكثر من هوية وصفة تعريفية؛ اذ هو في المتداول في تكريت او في الوجدان الجمعي المتوارث للمجتمع التكريتي انما يشكل مثوى طاهر لأربعين صحابي جليل، يعتقد فيهم الناس انهم كانوا قد شاركوا في معارك الفتح الإسلامي لمدينة تكريت في عام ١٦هجري

واستشـهدوا اثنـاء انجـاز هـذا الفـتح الاغـر. وهـو فـي وجـدان اهـل التصـوف انمـا يعـد مكـان تجلـي وترائـي ومشـاهدة لطبقـة الاوليـاء الأربعـين الابـدال والتـي هـي مـن اهـم مراتـب هـرم الاوليـاء عنـد الصوفية. كما انـه بنظر بعض علماء الاثار والتاريخ من الرحالـة المستشرقين كذلك بنظر ثلة من علماء ومفكري السريان انما يعد مشـهدا قد كـان فـي موقعـه بنـاء عتيـق يـرجح ان يكـون ديـر يـؤول لـزمن سـابق للإسـلام. ولعلـه فـي نظـري مشـهدا قـد بنـي اكرامـا وتخليدا للأمير بهنام الملقب بـ (خضر الياس) ولأخته سارة، الذين قتلهمـا ابوهمـا الملـك سـنحاريب مـع رفـاقهم جـزاءا علـى توحيـدهم وتـركهم لعبـادة الالهـة بيـد ان المسلمون خـلال مزدهـر عهـدهم قـد قاموا في تحويره الى ما يخدم أغراض دعوتهم بتحويله الـى منشأة تعليميـة وبهكـذا فقـد بـات فـي نظـر علمـاء التـراث مـن العـراقيين والعـرب يشـكل أثـرا عماريـا حضـاريا إسـلاميا, ولعـل مـا أظهرتـه دراسات التاريخ وتحريات الآثار فيه قد عزز أنه عبارة عن نموذج حي لمدرسة إسلامية عالية لا بل هو اقدم انموذج باقي لدار علم او مدرسـة إسـلامية. وأنهـا تـؤول فـي قيامهـا كمنشـأة إلـى اواخـر القـرن الخـامس الهجـري بالاسـتناد الـى كثيـر مـن الخصـائص

العماريـة والزخرفيـة وبالمقارنـة مـع عـدد مـن المبـاني الإسـلامية المشابهة لها في بعض الأمكنة في الانحاء العربية.

وان مـن الأمـور التـي يتوجـب الاشـارة اليهـا هنـا هـو ان بنـاء هـذه المدرسة انما قد جاء قواما ونظاما على غرار المدرسة الظاهريـة فـي حلـب ومدرسـة سـابينا فـي مدينـة قيصـرية بآسـيا الصـغرى والمدرسة الكاملية في مصر والمدرسة النظامية والمدرسة التاجية في بغـداد ثـم انهـا بهيئتهـا وغايتهـا وخططهـا انمـا تشـبه المدرسـة النوريـة الكبـرى فـي دمشـق والمدرسـة الظـاهريـة فـي حلـب الشـهباء. أمـا فـي وظيفتهـا فهـي تعكـس كونهـا مدرسـة تتقـدم فـي النشـأة علـى قريناتهـا مـن المـدارس الإسـلامية الأول مثـل المدرسـة المستنصـرية فــي بغــداد والمدرســة الكامليــة فــي القــاهرة، وهــي إلــى هــاتين المدرستين أقرب في الجغرافية المكانية كما وأنها قد تزامنت معهما في النشأة مثلمـا قد اشتركت معهمـا فـي ذات الأدوار والمضـمار. وأمـا عـن الاسـم والهويـة لهـذه المدرسـة التـي يمثلهـا مبنـى الاربعين فالحق يقال انه قد سكتت المراجع والمصـادر عن بيان اسمها فـي حينها والافصاح عنه غير أننـي وبعد بحث ومدارسة ،انما أجتهد فـي تسـميتها بـ (مدرسـة المشـهد) ذلـك استنادا إلـى بعـض القرائن

التاريخية كما وان رؤيتي حولها هو أنها لا تعدو إلا أن تكون نظامية مدينة تكريت والتي قامت في عهد الوزير السلجوقي نظام الملك وبعهد منه وبإشراف مباشر من ولده الامير مؤيد الملك الذي تولى حكم قلعة تكريت، خاصة وقد جاء عن الوزير نظام الملك انه بنى في كل بلدة في العراق مدرسة صارت تحمل اسمه

معالم الصرح الداثرة:

من خلال رحلتي البحثية في مبنى الأربعين ومدارستي لما تضمنته من لواحظ الاستنتاج والاستنباط فلقد تمخضت عندي الرؤية بكون الحضرة الرحبة لهذا المبنى انما تحتضن عددا مباركا من المعالم الطاهرة لعل منها:

١. الغرفة المقببة الحاضنة للضريح الرئيس في المبنى والذي هو بنظري لا يعدو ان يكون ضريح الفارس والتابعي، عمرو بن جندب الازدي، وهو من رجال الرعيل الأول لصدر الإسلام، والذي قتل عند تخوم تكريت في وقعة حصلت عام ٦٨هجري بينما هو بمعتقد جمهور الناس في تكريت يعد ضريح أحد رموز الفتح الإسلامي لتكريت سنة ١٦ هـ وهو عندهم يحمل صفة مقرئ القوم كما وهو عندهم يأتي اسمه عمرو بن جندب الغفاري.

٢.	الغرفة المقباة الملاصقة من الجانب الشمالي لغرفة الضريح الرئيس والمعروفة من قبل أهالي تكريت بـ(الغيبة) التي يزورونها للتبرك والتيمن ويعتقدون بها انها مكان غيبة وتجلي أو ترائي ثلة من الصحابة الشهداء ابان عمليات فتح تكريت والذين كان عددهم أربعون والتي هي حسب اعتقادهم تعد مكان غيبة وتجلي وترائي مرتبة من الاولياء الصالحين معروفين بـ الأربعين الابدال والذين هم على حسب اعتقاد زهاد وصوفية المسلمين مرتبة من مراتب سلم الاولياء الصالحين او مستوى من طبقات هرمهم الذي يتصدره الخضر عليه السلام وليس كما يشاع شعبيا انها تمثل ثلة من الصحابة، اذ ان تسمية المبنى بالأربعين ولي انما هي عندي متأتية من تفسيري للحال وليس عن غير ذلك.

٣.	مثوى غير معلم للأمير العقيلي زعيم الدولة بركة بن المقلد الذي توفي سنة ٤٤٣هـ عند مشارف تكريت، ثم قدر له ان يدفن في زاوية من موقع مبنى الاربعين الذي كان يشتهر قبلها باسم مشهد الخضر والذي هو في تصوري ذات الموقع الذي كان قد ضم رفات الصحابي عمرو بن جندب الازدي وصحبه من

المقتولين في وقعة حصلت في عام ٦٨هـ أي يكون مدفنهما عندي انما هو جنبا الى جنب وتحت قبة واحدة.

٤. مشهد ديني رافديني عتيق يعرف بـ(مشهد الخضر)، يؤول في قيامه الى احدى حقب ما قبل الإسلام ثم استمر وجوده معلما مقدسا حتى زمن تمكين السلاجقة مما آل له ان ينتخب في احدى سني منتصف القرن الخامس الهجري كمكان لموارة رفات أحد أبرز امراء الدولة العقيلية المهمين وأعني به زعيم الدولة ابن المقلد العقيلي أحد اعيان العراق في عصر السلاجقة.

٥. محل زيارة وتيمن وتبرك يأتي بشكل (قبو) ، يأخذ الركن الجنوبي الشرقي من مبنى الأربعين ويعرف لدى أهلنا في الماضي القريب بتسمية مقام (الست نفيسة) من دون ان تتبين عند اهلنا بإفصاح هوية صاحبة الاسم الست نفيسة والملقبة من قبلهم بجدة الاولاد، بيد اني وبعد مذاكرة للتراث الصوفي انما قد صار يتهيأ في وجداني رأي في هوية المسمى باسمها القبو ومفاده هو لعلها تكون: المرأة الزاهدة العابدة الست بنفشة خاتون زوجة المستضيء بالله المتوفاة في سنة ٥٩٨هـ او لعلها تكون الولية الصالحة، الفاضلة الزاهدة الست نفيسة القشطيني التكريتي دفينة كرخ بغداد،

سيما وان الذي يدعوني للاعتقاد بذلك هو لكون هاتين الوليتين العارفتين تعاصران لأزمنة اعتبار مبنى الأربعين كمحل زيارة وتبرك وذيوع كرامة ما يرشحه لان يكون محل زيارة وتبرك من قبل هاتين الصالحتين خاصة وان للاولى أي الست بنفشة اثارا تعليمية شبيهة بهوية الاربعين كمدرسة قد كانت منها المدرسة البنفشية او المدرسة الشاطئية ببغداد مثلما وان للثانية أي الست نفيسة القشطيني مع تكريت رابط المنزل الأول لكون ان تكريت قد مثلت محطة لسكن أهلها ال القشطيني قبل سكنهم في كرخ بغداد

٦. مجموعة مراقد إسلامية هي مندرسة اليوم كانت تضمها بعض نواحي المبنى وهي لعدد من اعلام وعلماء تكريت الاجلاء منهم من توفى في تكريت في الهزيع الأخير للعصر الذهبي لدولة الإسلام الزاهرة ، اذكر منها على حسب رؤيتي؛ مرقد الفقيه والمحدث عبدالله بن علي بن سويدة التكريتي (ت ٥٨٤هـ)، ومرقد اللغوي المهذب محمد بن علي اللاريجاني (ت ٥٠٦هـ) كذلك مرقد الفقيه أبو القسم ابن الفقيه ابي بكر كمال الدين احمد ابن القاضي والفقيه ابي النجيب عبدالرحمن ناظر المدرسة المستنصرية ابن القاضي والفقيه والمدرس في نظامية بغداد يحيى

بن القاسم الربعي التكريتي والذي جاءت الكتابة التي عثر عليها عالم الاثار المستشرق هرسفيلد على احدى جدر المبنى لتدل على ثويه في المكان وأخيرا مرقد الامير ناصر بن الحسين العراقي الذي ورد ذكر خبر دفنه في المكان ضمن مخطوط نسب يخص الاسرة العلمية للعلامة والقاضي السيد محمد خلوصي بن محمد سعيد الناصري الذي هو من علماء ومؤرخي العهد العثماني الأخير، ولعل امكنة هذه المراقد في المبنى لا تعدو عندي الا ان تكون تلك القبور التي اظهرتها معاول التنقيب والتحري خلال الاعمال التي تمت لإعمار المزار فقد ذكر لي السيد عبد محمد الجرو وهو احد الذين اسهموا في تلكم الاعمال عن كشف واستظهار قبور في المبنى كانت مواضعها تجيء وهي مقابلة للمحاريب الداخلية التي جاءت أروقة وقاعات المبنى تضمها. اذ أكد لي ان الفريق وجدوا بإزاء كل محراب هنالك قبرا يضم رفات إسلامية.

٧. ثلاثة مساجد مميزة للصلاة، فالأول منها يشكل ويأخذ غالبية المحور القبلي للمبنى متوسطا المسافة ما بين القاعة الركنية الجنوبية الشرقية وما بين غرفة الضريح التي تشكل الركن

الجنوبي الغربي وهو مستطيل بحنايا ركنية ويضم محرابا مهيبا مجوفا يقوم عقده المفصص ذا الشكل المحاري على زوجين من الاعمدة المندمجة وتشغل جزءه العلوي تفريعات نباتية منوعة والمحراب الثاني هو محراب صيفي وموقعه في الجزء الجنوبي للصحن بحيث ان هيئته تأتي كتجويف في الجدار الشمالي للمصلى الأول المنوه عنه، واما الثالث المحراب فان ملامحه قد تم التعرف عليها خارج ظاهر المبنى من جهة الغرب.

الصرح كموقع مقدس:

يطلق لفظ "موقع مقدس" على تلك الأماكن ذات الأهمية الدينية والمؤثرات الروحية في الذهنية للأجيال عبر تاريخ الانسانية.

وان تكريت هي واحدة من المدن التاريخية التي امتلكت هكذا موقع او مكان فلقد توارث الوعي الجمعي لأجيال مجتمع مدينة تكريت عبر التاريخ ، النظر والاعتقاد والذكر في كون موقع بناية الاربعين مزار مبارك تفصح حالته الاعتبارية عن عتبة مقدسة روحية المشعر او تربة طاهرة مباركة المظهر قد اعتادت ادوار مجتمع مدينة تكريت ان تلوذ روحيا بسرها المعتبر ففي اول عهده وكان ذلك في مقتبل القرون الميلادية الاول كان المكان مشهد

مبارك حاز سمة الخضر بعد ان انطوى على قصة ايمانية عتيقة عبرت عن حالة مماهاة رمزية قد تجسدت بشخصيته المؤمنة.

ثم بعدما تباركت مدينة تكريت العتيقة بضوع انوار حضارة الاسلام الزاهرة، فنمت وعظمت وبروح التمدن الاسلامي اتسمت، بات ينظر الى موقع (الأربعين) بكونه مثوى طاهر ومزار اسلامي مبارك يضم من كبار اعيان المسلمين من ركب الفاتحين.

ومنذ منسلخ عهد الدولة العباسية ومبتدأ الحقبة المغولية، حيث شيوع ظاهرة ابتداع المزارات والترب والمقامات (العتبات) كملاذات تبرك ودعاء وكشواخص تبتل ورجاء، وتلبسها للعقلية الشعبية المحلية بشكل مظاهر روحية ذات فضاءات نسكية تكاد تكون بحالتها طقوس تعبدية صار الموقع عتبة مباركة ذات قدسية في نظر نساك المتصوفة. وهكذا استمر مبنى الاربعين المزار الرئيس لمجتمع تكريت بفئاته واجياله المتتالية اي انه مثل (الاكيتو) للفعاليات والميدان للممارسات الطقسية والنافذة للتقاليد والعادات في الاعياد والمناسبات عبر تاريخ المدينة. تجري فيه الزيارات وتوفى عند عتباته النذور وتطلب عند شبابيكه الحاجات.

الصرح كمزار:

ان المطـالع للتراث الثقافي الـذي باتـت تمتلكـه مدينـة تكريـت فـي مرحلتهـا التاريخيـة الحديثـة سـوف يلحـظ ويلمـس ان موقـع مبنـى الأربعين الذي تحتضنه والذي يشكل فيها شاخص معتبر ومهيب لـم يعـرف بصـبغة المقدس كمـزار او موضـع زيـارة وتـيمن وتبـرك وتنسك وتعبد وايفاء نـذور الا في فترة متـأخرة من تاريخهـا العتيق جـدا والممتـد عبـر الازل، اذ ان وظيفتـه القدسـية كمـزار انمـا قـد تفتقت بأعقاب حقبـة التتـار التـي غزت فـدمرت الانمـوذج المـدني الحضـاري الـذي كانـت تتمتـع بـه المعمـورة حيـث بـات النـاس يتحولـون الـى الأنمـاط الروحيـة فـي سـلوكياتهم الحياتيـة فصـاروا يلوذون بالغيبيات ويتوسلون بها على ما يداهمهم من نوائـب ونـوازل فكانت القبور وأمكنة روحية بعينها احدى مذاهب توسلهم واتكالهم

الامـر الـذي حـدا بالنـاس إقامــة المشـاهد والمقامـات والاضـرحة والترب والمزارات والزوايا والخانقاوات والمراقد والعتبات لتكون لهم كأمكنــة تبتـل وتنسـك وتوسـل وتعبـد، يخرجـون فيهـا مـن ضـيق ارواحهم ووجع أنفسهم واحتراق قلوبهم التي نابتها النوب والعلل ولا خلاص او لا نافذة مرادات الا بمثل هكذا ملاذات.

وهكذا كانت مدينة تكريت بأجيال جمهورها التي جبلت على النقاء الروحي وطبعت على حب التعلق بالغيبيات كوسيلة لتنشق المرادات مع الحالة، ما دعا بأبرارها الى انتخاب مبنى الأربعين ليكون المزار الديني والفنار الروحي لمقاصدهم الروحية لما بات ينطوي عليه من مثابات طاهرة ولما بات يشكله من مكان مبارك من خلال تعيينه من قبل اهل التصوف ليكون احد الأمكنة الطاهرة التي تتجلى فيها احدى طبقات الاصفياء من الاولياء واعني بها مرتبة الأربعين الابدال وهي المرتبة الروحية التي اعتقد بها الاصفياء من أبناء مدينة تكريت الغراء، كنف الصالحين والاولياء حتى غمرت نفوسهم شغفا وكرامة ونقاء.

الصرح كمشهد:

من خلال دراسة تاريخ الوقائع والاحداث الحاصلة على ارض تكريت المدينة ما يجعلني اعتقد وبلا مواربة أنه في البدئ وفي زمان عتيق جدا كان موقع مبنى الأربعين هو عبارة عن صرح عماري مقبب ويمثل مشهد ديني تنسكي مقدس، اي ان أساس هذا المبنى انما كان مشهدا دينيا للأولين. ولقد أكد هذا الامر بعض المفكرين النصارى وبعض علماء الاثار من المستشرقين وعلى

راسهم كرامرز غير انه وفي مرحلة حيوية من مراحل عصر الإسلام الزاهر توسع هذا المشهد فصار يتمظهر بهيئته التي هو عليها اليوم بعد ان رسم ليكون دار علم او مدرسة دينية إسلامية، الامر الذي طوى هويته البكر (المشهد) آخذا هوية جديدة تفصح عنها وظيفته الجديدة وهي المدرسة. وبخصوص وجود هكذا مشهد في تكريت يمكن لنا ان نستضيء بإشارة ابن الاثير في كتابه الكامل كذلك إشارة ابن الجوزي في كتابه المنتظم التي جاءت تفصح عن وجوده بتكريت حقا حيث جاء ضمن الكتابين ذكر صريح له وتحت سمة (مشهد الخضر في تكريت).

اما الدليل على كون أصل مبنى الأربعين هو ذاته قبة مشهد الخضر الذي أشرنا اليه في الكتاب فهو الاستحقاقات المادية والاعتبارية التي حازها المشهد المذكور من دفن أحد امراء البيت العقيلي الحاكم فيه، حيث اعتمدت طرز عمارة وفنون ريازة قد كانت عرفت بها عمائر شهيرة وكبيرة ومهمة تحسب لهذا البيت والتي هي شبيهة جدا بما يحمله مبنى الأربعين من طرز وريازات.

الصرح كزاوية:

من خلال تتبع اخبار بلدة تكريت في كتب التراث الإسلامي للعلماء المتأخرين خاصة اخبارها في الفترات التي سبقت غزو التتار لها والتي وكذلك في الفترات حلت بعدهم امتدادا الى الفترة العثمانية يتبين ان مبنى الأربعين انما كان محل مرابطة او مكان خلوة وانزواء لبعض العارفين بالله من الصالحين كونه في ظاهر البلدة وهو بذلك يكون بعيدا عن الناس ما يؤثر على غيره من الأمكنة كزاوية او رباط وان من بين من ورد انه قد ارتاد المبنى: اذكر عدي بن مسافر وأبو بكر الهيتي وجاكير الكردي وغيرهم.

الصرح كتراث:

الحقيقة انه لم يفصح لنا التاريخ المدون لمدينة تكريت بأي اخبار عن تاريخ بناء هذا الصرح العتيق ولا عن مشيده، كما انه لم يعثر بين اثار هدمه او بين حناياه الجاثمة على أي دلائل خبرية حول ذلك على ما يظهر، سوى نص كتابي دون بالخط النسخي وجاء مؤرخا بـ عام ٦٦٠ هجري وكان قد وجده محفورا على احد جدران الغرفة التي تشغل الركن الجنوبي الشرقي فيه، المستشرق ارنست هرزفيلد في عام ١٩٠٨م ولقد أظهرت قراءته له اسم

علم لشخصية عربية إسلامية اعتقد جازما بانها لا تعدو ان تمثل شخصية احد علماء تكريت الذين كانوا يرتادون المكان ابان أداء وظيفته كمنبر علمي ولقد جاء فحوى النص كشاهد قبر له في المكان وان النص وعلى حسب قراءة هرزفيلد لا يعدو عندي الا ان يكون اسم الفقيه أبو القسم بن ابي بكر حفيد القاضي عبدالرحمن التكريتي ناظر المدرسة المستنصرية ببغداد.

ان عدم العثور على تاريخ واضح له لا يعني مجهولية عهد قيامه اذ ان تخطيط البناء وعناصره العمارية واضافاته الشكلية لا شك يظهران حقيقة انه قد شيد قبل زمن الكتابة التي عثر عليها هرزفيلد بكثير أي انه اعتق من سنة ٦٦٠ هـ كما وانه كان في اصله بناء عتيق ولعل ما يعزز تأكيد هذا الحال ما ذكره عنه المستشرق كريمرز J.H.KRAMER في كونه يعود للقرن السادس الهجري وكان في موقعه بناء اعتق، ايضا ما جاء حول ذلك عن ثلة من علماء الاثار العراقيين في تحديدهم للربع الأخير من القرن الخامس الهجري كزمان ترجيحي لقيامه كمدرسة إسلامية عالية بمقارنته مع عمائر شبيهة له خططا وريازة .

تقاليد وطقوس المزارات

من البديهي القول انه لكل صرح او معلم معتبر سواء كان ديني او اجتماعي او تاريخي شكل طقس او تقليد زيارة خاصة به.

ولقد كان لأهالي تكريت في ماضيهم القريب تقاليدهم وطقوسهم في التعامل مع مزارات بلدتهم وفي زيارتها اذ خصوا كل منها بنوع زيارة وخصصوا لها يوم معين وانني مؤلف هذا الكتاب كنت قد ادركت اخر أيام مجد تلك الزيارات بين الانام اذ ادركت مزار الأربعين وكيف كانت نسوة المدينة بكافة اعمارهم يزرنه لقضاء حاجات بعينها كالاستشفاء من الادواء او وحل العقد وعقد النذور او الإيفاء بها او التبرك، وكانت الزائرة منهن لهذا المزار الذي يعد المزار الرئيس لتكريت بل الاكيتو الاسلامي لجمهور تكريت، تشرع في طلب حاجتها حالما تصل عند مشارفه، اذ اول ما تقوم به ان تطلق عنان كفيها في الهواء عاليا مستقبلة بوابته واقدامها تتسارع بلهفة نحوه وهي تردد القول بصوت مسموع وفي اللهج المحلي : (يا الاربعين جيتك زايرة وشكت عباتي طايرة).

ولقد كانت في انحاء هذا المزار أكثر من وجهة قصدية للزائر فمنهم من كان يقصد شباك الغرفة المعروفة بغرفة الغيبة والتي

هي احدى الغرفتين المقببتان التي يضمها المبنى ثم يبر بزيارته عند ذلك الشباك بان يعقد في مشبكه شريطا من القماش الأخضر او يعلق قفلا صغيرا فيه.. او انه يبر بزيارته في توجهه نحو داخل غرفة الغيبة نفسها فيحاول ان ينتشل حفنة من التراب من حفرة تتوسط أرضيتها فيتبرك بحبات هذا الراث بان يتم سكبها على صدر الزائر، ومنهم من يتوجه في زيارته نحو ذلك القبو الذي يأخذ الزاوية الجنوبية الغربية للمبنى حيث ينزل اليه بسلم مزور ينتهي الى جوف هذا القبو الذي يعتقد فيه انه مقام مبارك يعكس اسم امرأة صالحة من الرعيل الاول للإسلام، اسمها الست نفيسة وهو كفيل بالاستشفاء من بعض الامراض ومنا الحمى.

وأدركت وانا صغير مزار (جريم) في الضاحية الشمالية لمركز تكريت والزيارة له كانت تتم من قبل عائلات مجتمع تكريت والانحاء في عصاري أيام فصل الربيع حيث تزهر الأرض وتخضر مزهوة بموسم الخصب وكيف تقام عند كرنفالات الاحتفاء بالربيع مثلما تتقصد حضرته العوائل للتيمن به والتبرك والتنسك.

وأدركت مزار (الهبهاب) في الطرف الغربي لآثار القلعة وكيف كان ضريحه يترك في من يزوره حالات خشوع كما وكيف كن

نسوة المدينة يزرنه في مغارب أيام الخميس حيث يوقدن في كوته أصابع الشموع واعواد البخور مثلما يقصده الرجال للتبرك به. وأدركت وانا صغير مرقد (محمد البدر) وكان في داخل جبانة المدينة الحالية وكيف هو محل زيارة من قبل كبار السن من الرجال، حيث يقرؤون القرآن ويرددون جمل الدعاء بقربه مثلما هو محل زيارة لنسوة المدينة لأجل التوسل والتيمن والتبرك وطلب الحاجات كما وللاستشفاء من الادواء كما وأدركت قبر السيد منصور فضلا على قبر السيد عبد الله النعيمي وكذا قبر السيد يوسف وكيف كانت نسوة المدينة تقصدهم للزيارة خاصة أيام الخميس. وكذا الحال ينطبق على مرقد الشيخ إسحاق الذي تشمخ قبته المباركة في الطرف الجنوبي لبلدة تكريت عند النهر.

وباختصار أقول ان الاهلون في تكريت الماضي، كبارهم وصغارهم، نساؤهم ورجالهم، شيبهم وشبابهم، كانوا يعتقدون بالمزارات كمحلات طلب حاجات وكأماكن ايفاء نذور وتوسل حلول وسؤال البركة لذا كانت لهم معها تقاليد محترمة وطقوس نسكية لها قدسية ومهابة في النفوس مثلما كانت بعض تلك المزارات خاصة التي هي خارج سور البلدة اماكن فرح ومتعة.

اعتبارات تكريت للمزارات

استشفافا للمفردة (اعتبار)، التي هي من الفعل اعتبر، الذي يأتي بمعنى: عدّ. كمثل قولهم اعتبر الناس هذا الموضع مكانا لهم، أي عد الناس الموضع مكانهم او انهم عاملوه معاملة الملك لهم.

أتوجه في مسار الكلام نحو مرامي هذ المفردة وابتدئ بالذكر حول أني قد أدركت منشأة المزارات التي تمتلكها تكريت سواء تلك التي هي تقوم على اضرحتها قباب كمزار الأربعين ولي ومزار جريم ومزار شيخ إسحاق ومزار محمد البدر ومزار منصور او تلك التي هي مراقد او اضرحة مفتوحة بلا قباب كالهبهاب والناس من اهل بلدتي يتعاملون معها بوفق اعتبارات ومجاعل يغشاها التقديس والتبجيل وتضبطها طقوس واعراف وعادات ونواميس. فبعض المزارات مثلا قد اعتبرت او عدت للاستشفاء من ادواء معينة كأمراض الحسد والمس والسحر وامراض تصيب الأطفال. وبعضها قد اعتبرت او عدت ملاذات للتيمن والتبرك والخلوة وبعضها الاخر عدت لطلب او قضاء الحاجات او فك العقد. ناهيك عن ان المجتمع التكريتي بأجياله كان يعد اغلب تلك

المزارات كأمكنة مناسبة للأعياد وخاصة الدينية منها وأمكنة نزهة وخاصة في أيام الربيع حينما تكون الأرض مزهرة خضراء غناء.

فبالنسبة لاعتبارها كأمكنة للاستشفاء فان من بين أنواع العلاج التي يقصدها التكارتة في مزارات مدينتهم هو العلاج لحمى الاطفال والتي كانوا يطلبونها عند مرقد الشيخ إسحاق او عند مرقد شيخ منصور والعلاج من الحمى للكبار ويطلبونه في تراب الغيبة بمزار الأربعين لي والعلاج للعقم الابتدائي للعرائس ويجدونه في تراب مشهد الست نفيسة في مزار الأربعين وعلاج السعال الديكي ويطلبونه في شقيف مار الشيقا عند الكتف الجنوبي لبيت النقيب واما بالنسبة لاعتبارها كأمكنة نزهة ورتع او اعتبارها كأمكنة فرح فان مشهد جريم انما كان المكان المعتبر بقصد الزيارة أيام الربيع. بينما مزار الأربعين كان المكان الرئيس للاجتماع في أيام الأعياد، اذ انه انما كان بلا منازع الاكيتو لمدينة تكريت الذي يعد كمكان مختار للاحتفالات او للسمريات في عصاري أيام الخميس او كمكان للاجتماع لأجل المعايدة واللقاء ولأجل الزهو والتمتع بالفرح والسرور بما يصاحب من اللعب في الأعياد الدينية.

مزارات التكارتة الخارجية

لقد اعتاد بل جبل الوجدان التنسكي الشعبي للمجتمع التكريتي على الزيارة الدينية التنسكية لبعض الامكنة الطاهرة التي هي خارج بلدتهم تكريت المدينة التاريخية والتي تجسدها مثاوي بعض الصالحين من رجال الاسلام المباركين من التي تحتضنها المدن المجاورة لمدينتهم كالموصل وبغداد وسامراء وبلد ونذكر منها هنا:

مرقد الشيخ عبد القادر: وهو التسمية التي تطلق على الحضرة القادرية المطهرة التي تحتضن ضريح الشيخ الصالح عبد القادر الجيلاني. ويقع هذا المرقد في العاصمة بغداد ضمن منطقة باب الشيخ من جهة الرصافة ، حيث إن أصل هذا الجامع كان مدرسة أسمها مدرسة باب الأزج أنشأها أبو سعيد المخرمي سنة ٥٤١هـ، ولما توفي الشيخ أبو سعيد جلس للتدريس مكانه الشيخ عبد القادر قدس سره ولما توفي دفن في احد اروقتها، وكانت تسمى مدرسة باب الأزج في محلة باب الأزج، من محلات بغداد القديمة، ولكن اسمها تغير إلى محلة باب الشيخ نسبةً إلى الشيخ عبد القادر، أعيد بنائها من قل العثمانيين بعد أن دمرها

المغول وكان المعمار المشرف على ببنائها هو المهندس العثماني معمار سنان باشا وبأمر من السلطان سليمان القانوني بعد فتحه لبغداد في سنة (١٥٣٤م). وتعد هذه الحضرة المباركة والعتبة المقدسة اليوم صرحاً معمارياً مهماً من صروح العراق المقدسة، كما وتعتبر أحد اهم المراكز الرئيسية للتصوف في بغداد والعراق والعالم الاسلامي، فهي مزار مبارك حيث يقصدها الزوار من أرجاء العالم للتبرك. وهي تضم عمارتها مسجداً وضريحاً ومكتبة غنية بالمخطوطات. وهي تعد من اهم مزارات التكارتة قديما وحديثا اذ يقصدها التكارتة للتبرك والتنسك ولا يكاد زائر تكريتي لبغداد لأي غرض ان يزورها

جامع النبي يونس: وهو من جوامع العراق التاريخية الأثرية، ومن عتباته المقدسة وهو ويقع على السفح الغربي من تل التوبة، أو تل النبي يونس في الموصل، ويذكر عند بعض المؤرخين ان النبي يونس مدفون قرب الجامع، وذكر الرحالة ابن بطوطة (٧٠٣ – ٧٧٩هـ) هذه التلة باسم تلة النبي يونس عندما قدم إلى الموصل، حيث أورد ذلك في كتابه تحفة النظار: (وفي التل بناء عظيم ورباط فيه بيوت كثيرة ومقاصر ومطاهر وسقايات يضم

الجميع باب واحد، وفي وسط الرباط بيت عليه ستر حرير وله باب مرصع يقال انه الموضع الذي به موقف يونس عليه السلام ومحراب المسجد الذي بهذا الرباط يقال انه كان بيت متعبده عليه السلام. وأهل الموصل يخرجون في كل ليلة جمعة إلى هذا الرباط يتعبدون فيه)، ولا يعرف تحديدا تاريخ بنائه ولكن ذكره أبي زكريا الأزدي المتوفي قريبا من سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. ويعد جامع النبي يونس (ع) مزارا جليلا ومقصدا مباركا للتكريتيين.

مزار السيد محمد: في الضاحية الشرقية من قصبة قضاء بلد، تشمخ قبة ذهبية تجاورها مئذنة بهية يستظل بها أثر طاهر. ونعني به مزار ومرقد سبع الدجيل وعزيز بلد، السيد محمد بن الإمام علي الهادي (عليه السلام) المتوفى سنة ٢٥٢هجري كما نصت المراجع. ويقع المرقد الطاهر على رقعة مربعة الشكل ويحيط به سور يبلغ ارتفاعه ٨ أمتار وطوله ٣٠٠ مترا وعرضه ٢٠٠ مترا. ولقد توالت على المرقد الشريف حملات الاعمار والتجديد مثلما توالت العمارة على مرقد العسكريين (عليهما السّلام). ولعل أول عمارة هي التي أقامها أهل المنطقة الذين توفى السيد محمد عليه السلام بين ظهرانيهم ولعل ثاني هذه

العمارات: هي عمارة الوزير عضد الدولة البويهي المتوفى سنة (٣٧٢ هـ)، والتي تُعد أقدم وأشهر العمارات في هذا المزار وأيضا عمارة وزارة الأوقاف العراقية سنة (١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م والتي تعد أحدث العمارات التي جرى فيها ترميم القبّة وأعمال صيانة وتجديد للمزار واكساء صحنه وروضته بالمرمر النفيس والقاشاني. ويعد هذا المزار المبارك مزارا مقصودا من قبل اهالي تكريت.

مرقد العسكريين: وهو الروضة التي تحتضن رفات الإمامين الطاهرين علي الهادي وولده الحسن العسكري رضي الله عنهما كما تحتضن مثاوي مجموعة مباركة من آل بيت الهادي الأطهار منهم الإمام جعفر الزكي. وهي اليوم معلم تاريخي وعتبة مقدسة وروضة طاهرة مقصد الزوار تتربع قلب سامراء وتشتهر بين الأنام بالروضة العسكرية .وتاريخها دار ابتاعها الإمام علي الهادي عليه السلام فلما توفى سنة ٢٥٤ هجري دفن فيها ثم لما توفي ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ هجري دفن إلى جواره فكان مثوى الإمامين الطاهرين نواة هذه الحضرة الطاهرة فلما كانت أيام ناصر الدولة الحمداني سنة ٣٣٣هجري بنى قبة على الضريحين وكلل الضريح بستور وسورهما بسور

فلما كانت أيام البويهيين أنفق معز الدولة ثالث ملوكهم أموالا طائلة لمواصلة تعمير قبة العسكريين وسرداب الغيبة وجعل لضريحيهما صندوقا من الخشب ورتب لهما القوام والحجاب وأجرى لهم الأرزاق وملأ الحوض بالتراب وجدد الصحن وسوره وطرز البناء وأكمل عمارته ناصر الدولة الحمداني فلما انتقل الملك إلى ابن أخيه عضد الدولة ، أمر هذا بعمارة الروضة والأروقة بالساج ، ووسع الصحن ، وشيد سورا للبلد الذي أخذ بالاتساع نحو الحضرة وكان ذلك في عام ٣٦٨ هجري ثم جاء الأمير ارسلان في عام ٤٤٥ هجري وعمر القبة والضريح وعمل الصندوق من الساج وجعل الرمان فيه من ذهب ثم جدد بركياروق السلجوقي الأبواب وسيج الروضة ورمم القبة والرواق والصحن والدار ثم عمر الناصر العباسي القبة والمآذن وزين الروضة وعقد السرداب وكتب أسماء الأئمة الاثني عشر على نطاق العقد وفي عام ٦٤٠هـ «وقع حريق في مشهد سر من رأى فأتى على ضريحي علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام فتقدم الخليفة المستنصر بالله العباسي بعمارة المشهد المقدس والضريحين الشريفين وإعادتها إلى أجمل حالاتهما ، وكان

الضريحان مما أمر بعملهما أرسلان البساسيري» ثم زين الأمير حسن الجلائري الضريح وشيد القبة وعمل البهو وشاد الدار

أما هيكل العمارة التي تشاهد للعسكريين في سامراء اليوم فقد شرع في تشيدها احمد خان الدنبلي ، من حكام أذربيجان ،في حدود سنة ١٢٠٠هـ وأتمها ولده حسين قلي خان الدنبلي سنة ١٢٢٥هـ وكان ذلك برعاية المرزة محمد السلماسي فقد أنفق الوالد وولده مبالغ طائلة على توسيع الصحن والأروقة ، وبدلا الأبواب والأخشاب بأحجار الصوان والرخام ، وكتبا آيات من الذكر الحكيم في أعلى الجدران كما هو ثابت للعيان ، وفي سنة ١٢٨٥ هجري جدد شباك الضريحين وغشيت القبة بالذهب الإبريز والمآذن بالقاشاني البديع ورخمت الروضة والرواق والبهو والصحن ثم توالت عمليات التعمير والتطوير بتوالى العهود وكانت أهمها حملة التعمير والتطوير التي جرت في نهايات القرن المنصرم أما آخرها فالتي تقوم اليوم والتي تجيء بعد أعمال التخريب التي تعرضت لها الروضة وحاولت النيل من قداستها وجلالتها وبداعتها. وكانت هذه الروضة المقدسة تعد مقصدا مباركا وجليلا وطاهرا للزيارة الدينية الروحية من قبل اهالي تكريت واطرافها.

مزار إمام دور: في مركز قصبة قضاء الدور. يشمخ مرقد الإمام أبو عبد الله محمد الدري الذي يعد المزار الإسلامي الرئيس الذي تحتضنه قصبة الدور فالمتبقي منه يجيء بشكل غرفة للضريح مربعة الشكل طول كل ضلع من أضلاعها خمسة أمتار تقوم على شفا كهف من الحجر يتوسط ضواحي قصبة الدور وقد علت هذه الغرفة قبة مخروطية مقرنصة ذات شكل عماري مميز بنيت بمادتي الحجر والآجر بعهد ورعاية من الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي في سنة (٤٥٣هجرية) حسبما جاء في إحدى الكتابات التي وجدت محفورة على أحد جدران غرفة الضريح ضمن إطارات جصية وأشكال نجمية والتي أكدت حقيقته التاريخية . وأظهرت كيف إن هذا الأمير العقيلي بذل ما بوسعه لإظهار هذه القبة بشكلها الذي يتناسب وعظمة الإمام المدفون فيه. والمكان برمته عبارة عن بهو مربع الأركان طول كل ركن قرابة ٣٠ مترا تعلوه القبة المميزة المذكورة أعلاه والمعقودة بالآجر القديم والجص والمتكونة من ثلاثة طوابق متداخلة من المقرنصات المحلاة من الداخل بالنقوش والكتابات والأشكال الهندسية المتداخلة في داخل تجويف القبة التي تعكس رقي الفن

في العمارة العباسية في القرن الخامس الهجري والذي يشاكل في ريازته تفاصيل الريازة العمارية لمزار الأربعين في تكريت وأطلال الريازة في خرائب حماد في الحويجة ومعاصر لهما في تاريخ التشييد وتعد هذه القبة بروعة طرازها العماري والفني الأجمل بين مثيلاتها من القباب المخروطية مثل قبة زمرد خاتون وقبة ضريح الحسن البصري وقبة ضريح السهروردي وقبة مشهد الشمس وهي تعد أيضا عنصرا معماريا محورا عن فنون الازج المعمارية التي تعد من أهم الخصائص البنائية المميزة في الحضارة الإسلامية في وادي الرافدين وتحت هذه القبة البهية هناك مصطبة عليها شباك من الخشب يبلغ طوله ثلاثة أمتار وعرضه متر وأربعين سنتمترا وارتفاعه متران وهو محور المزار. هذا ويقوم أهالي الدور وغيرهم من سكان المناطق المجاورة بزيارة هذا المقام من اجل التبرك وتكثر الزيارات في أيام الخميس من كل اسبوع. خاصة وأنه يشكل محور تراثهم وتاريخهم حتى أن بعضهم على أساس ذلك بات يعتقد أن اسم مدينتهم (الدور) مأخوذ من لقب هذا الإمام (محمد الدري). أما تاريخ بناء المرقد أو المشهد فمثبت بكتابات في بواطن نجوم تزين جدران الضريح الداخلية باسم مسلم بن

قريش بن بدران (توفى٤٧٨هـ) وتبدأ من الجدار الذي عن يمين المحراب وتشمل خمس نجمات اثنتين منها في جدار المحراب واثنتين في الجدار الواقع إلى يسار المحراب والأخرى في الجدار الذي عن يمينه .هذا ولقد حدد المستشرق هرتسفيلد تاريخ المرقد قبل اكتشاف الكتابات المدونة على جدرانه فقال إن زمنه يرجع إلى حوالي سنة ٤٠٠ هجري أما الدكتور عبد العزيز حميد فإنه يعتقد إن هذا البناء لا يتعدى سنة٤٩٣ هجري استنادا إلى بعض المعطيات الأثرية التي وجدت فيه واستنادا إلى بعض التحديدات التاريخية التي لها علاقة بما وجد فيه من كتابات والتي يدعمها ما جاء في تاريخ ابن الأثير .ولقد جدد بناؤه مرتين اولاهما عام٥٨١هجري والثانية عام ٨٧١هجري كما أن قبته قد تعرضت للقصف من قبل البريطانيين إبان الحرب العالمية الاولى لكنها لم تتضرر إلا شيء بسيط نظرا لبنائها القوي وترتيبها الهندسي الواقي للأضرار وقد رممت عام ١٩٣٧ من قبل مديرية الآثار العامة . أما من هو الإمام محمد الدري صاحب هذا المرقد المبارك المشهور فقد ذكرت الباحثة الآثارية نجاة يونس في كتابها المحاريب العراقية رأي مرتضى أفندي المشهور بنظمي زادة

المتوفى ١١٣٣هجري في قوله (إن الشيخ محمد الدوري ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم وهو من أجلاء المشايخ والأكابر والأعاظم ذي الإشارات الغريبة والخوارق والكرامات العجيبة توفى في قرية الدور على بعد أربعة فراسخ من سر من رأى ودفن فيها وقبره ظاهر يتبرك به ويزار) ولقد ذكر الدجيلي في لغة العرب نقلا عن عيسى البندنيجي صاحب كتاب جامع الأنوار: إن هذا الشيخ المتوفى في قرية الدور ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم. أما الشريف عبد الله السويدي فقال عن المرقد في رحلته: انه مشهد عظيم يزار له أوقاف وجامع ويقال له مشهد محمد الدري. هذا وفي داخل غرفة الضريح قطعة رخامية مثبتة في الواجهة الشمالية للضريح وهذا نصها (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا المشهد المبارك تربة الإمام أبو عبد الله محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين. وهو موضع. خمسة أو ستة حروف زائلة-رحم الله من... زاره وأسعده....لله الملك) وهذه اللوحة كان مسجلا عليها تاريخ وقد قرأته المستشرقة الانكليزية مس بيل وثبتته في إحدى كتاباتها بأنه (٨٧١هجري) أما العلامة علي بن

محمد صاحب كتاب الفصول المهمة فقال عنه(وكان محمد بن موسى صاحب وضوء وصلاة ليله حتى قال فيه بعض أصحابه ما رايته قط إلا ذكرت قوله تعالى(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) وذكر الأستاذ هرتسفيلد استنادا إلى كتاب مخطوط يرجع تأريخه إلى سنة١٠٩٤هجري (إن لموسى الكاظم ٣٩ ولدا منهم الإمام المدفون في الدور والذي اسمه محمد) أما أولاد موسى الكاظم فأحدهم اسمه محمد بحسب قول ابن حزم .وللمرقد محراب مميز مبني بالحجارة ومغطى بالجص ومحلى بزخارف أنصاف الأوراق النخيلية ولقد توصلت المس بيل إلى أنه بني في عهد لاحق لبناء الضريح ويعود إلى عام ٨٧١ هجري .

ولقد خضع هذا المرقد المبارك للإعمار لأكثر من مرة. وهو يعد مكان زيارة وتبرك من قبل اهل تكريت في ماضيهم القريب.

مزار العباس: ولعل من المزارات التي كان التكريتي يقصدها للتبرك والتيمن هو مزار الامام العباس بن علي (ع) في كربلاء. اذ انه كانت زيارته موسمية ومفضلة عند التكريتي. وكان ينعته بصفة (ابو رأس الحار) فيتبرك به ويتيمن ويقدم عنده النذور.

المراجـــع المعتمدة

١. مناقب ال ابي طالب. ابن شهر اشوب، المجلد الأول. بومباي، الهند، ١٣١٣هـ

٢. الإشارات الى معرفة الزيارات. علي بن أبي بكر الهروي. مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق، ١٩٥٣م.

٣. الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الاثير الجزري. مج ٤ بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٧م

٤. مشاهد وترب، الدكتور عيسى سلمان، موسوعة حضارة العراق، الجزء التاسع، بغداد ١٩٨٥

٥. دليل الخارطة الاثرية لتكريت المدينة التاريخية. إبراهيم فاضل الناصري، عمان، دار المعتز ،٢٠١٩ م

٦. Sarra F. and Herzfeld .archeologist reise imEuphart und Tigris Gebiet band I

٧. معجم عمارة الشعوب الإسلامية، د. علي ثويني، بغداد، ٢٠٠٥م.

٨. موسوعة مدينة تكريت، ج٦، مجموعة مؤلفين، بغداد ١٩٩٧م

٩. التنقيب والصيانة الاثرية في تكريت حافظ الحياني، بغداد٢٠١٢م

١٠. المحاريب العراقية، نجاة يونس، بغداد، ١٩٧٦م

١١. الفرات الأوسط رحلة وصفية، الواموسيل، ترجمة الدكتور صدقي مصطفى، مطبوعات المجمع العلمي، بلا

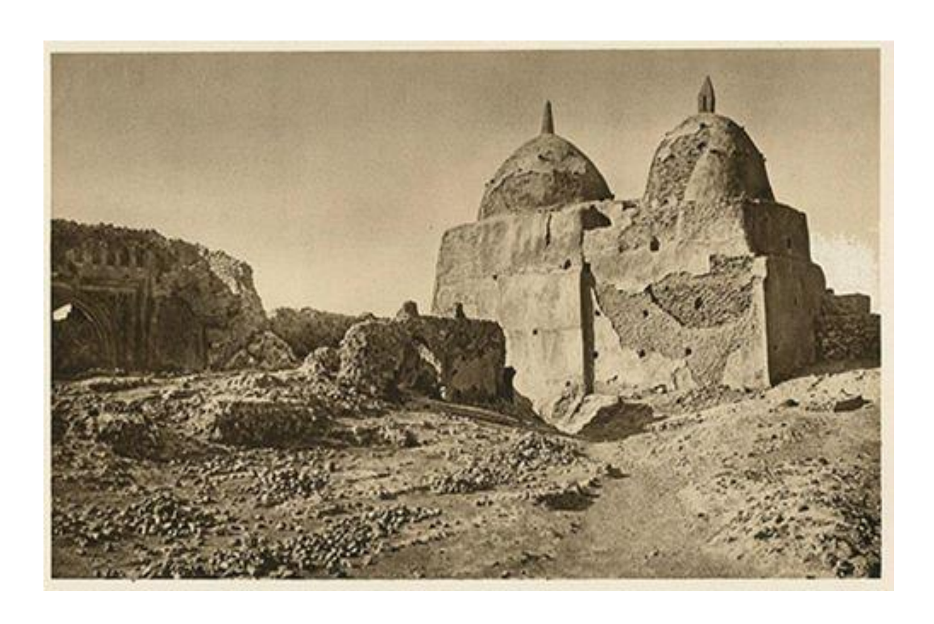
١٢. العمارات العربية الإسلامية في العراق، الدكتور عيسى سلمان واخرون، الكويت، ١٩٨٢م

١٣. عمارة الأربعين في تكريت، الدكتور عبد العزيز حميد، مجلة سومر، المجلد٢١السنة ١٩٦٥م

١٤. الابانة والتبيين في مرقد ابن جندب ومزار الأربعين، إبراهيم فاضل الناصري، دار الابداع، ٢٠١٩م

١٥. المدرسة الهمامية بتكريت، إبراهيم فاضل الناصري، دار الابداع ي تكريت، ٢٠١٨م.

١٦. كتاب تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لكمال الدين ابن الفوطي.



مزار (الاربعين ولي) بعدسة المستشرق هرزفيلد



مشهد الشيخ (جريم)



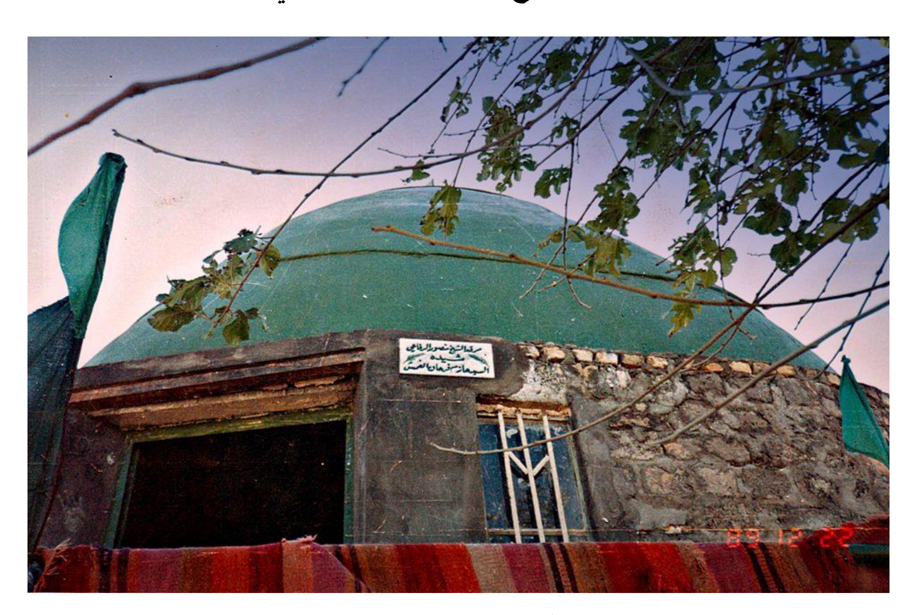
مرقد السيد (الهبهاب)



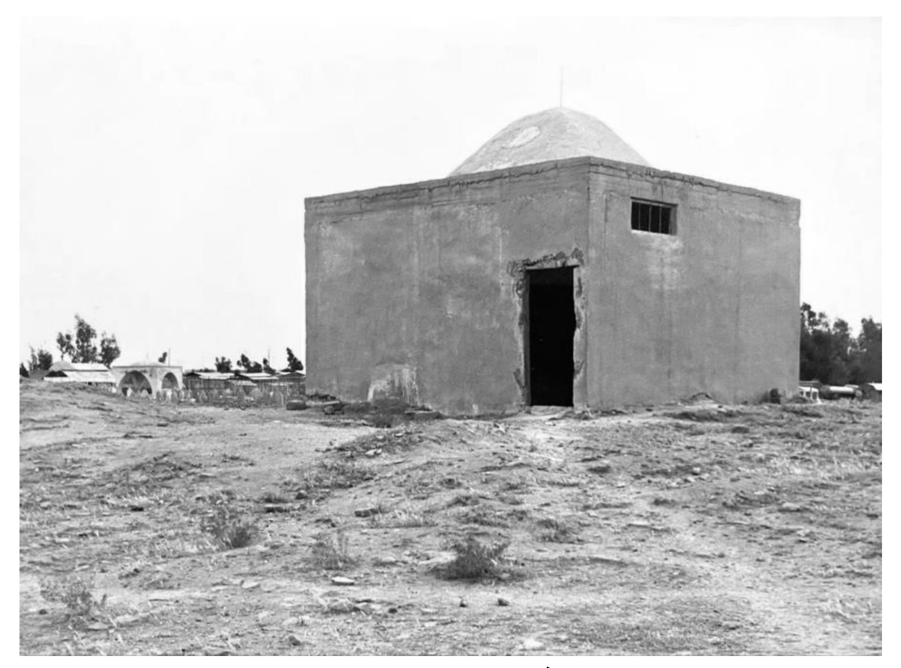
مرقد الشيخ اسحاق



مرقد الشيخ رجب دولت القاضي



مرقد الشيخ المنصور



مرقد السيد محمد البدر



مزار الأربعين ولي في العيد

السيرة الذاتية للمؤلف

إبراهيم فاضل الناصري

الصفة: مؤرخ واعلامي وكاتب وباحث في التراث

مواليد: تكريت / ١٩٦٤م

- بكالوريوس اعلام – كلية الآداب، جامعة بغداد
- عضو في نقابة الصحفيين العراقيين
- عضو اتحاد المؤرخين العرب– بغداد
- عضو اتحاد الادباء والكتاب في العراق
- عضو الاتحاد الدولي للمؤرخين
- عضو الهيئة الاستشارية للقصر الثقافي في تكريت
- عضو اتحاد كتاب الانترنيت العراقيين
- عضو الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب – بغداد
- عمل في مجالات الإعلام العسكري منذ عام ١٩٨٩م وشغل مناصب وظيفية فيها.
- نشرت له في الثمانينات: مجلة ألف باء وصحف؛ القادسية، العراق، الجمهورية، الاتحاد والراصد.

- عمل محررا لصفحة تاريخ وتراث في جريدة(تكريت) الاسبوعية الصادرة في بغداد في ٢٨ آب عام ٢٠٠٠.واستمر لغاية احتجابها عام ٢٠٠٣م
- عمل سكرتير تحرير تنفيذي في مجلة (الحرس الأمين) وهي مجلة صدرت في بغداد قبل الاحتلال.
- عمل سكرتير تحرير تنفيذي في مجلة (الفارس) وهي مجلة فصلية صدرت في بغداد قبل الاحتلال.
- عمل بصفة محرر مواضيع تراثية في مجلة (رمز العرب) وهي مجلة ثقافية سياسية.
- عمل مدير تحرير لجريدة (اليقين) الأسبوعية الصادرة في بغداد في منتصف عام ٢٠٠٣م والتي احتجبت بعد شهر من صدورها وكتب فيها بعض المقالات.
- عمل محرر صفحة تاريخ وتراث في جريدة (البداية) الأسبوعية العامة الصادرة في تكريت بعد الاحتلال.
- عمل مدير تحرير وحرر صفحة في جريدة (ديوان تكريت) الشهرية الثقافية الصادرة في تكريت بعد الاحتلال.
- عمل محرر صفحة تاريخ وتراث في جريدة (الوطن) اليومية العامة الصادرة في تكريت بعد الاحتلال.
- عمل محرر صفحة تاريخ في جريدة (الأيام السبعة) الأسبوعية العامة الصادرة في تكريت بعد الاحتلال

- عمل محرر في صفحة تاريخ وتراث لجريدة (الجهات الأربع) العامة الصادرة في تكريت بعد الاحتلال.
- عمل محرر صفحة تاريخ وتراث في جريدة (المجلس) الشهرية الرسمية الصادرة في تكريت بعد الاحتلال
- عمل محرر ركن التراث في مجلة (نبع الحنان) النقابية الشهرية الصادرة في تكريت بعد الاحتلال
- حرر صفحة تراث في مجلة (النبراس) الصادرة عن مديرية تربية صلاح الدين بعد الاحتلال
- كان له عمود اسبوعي ثابت في جريدة (الوفاق) الدولية التي صاحبها صلاح عمر العلي
- اعد وقدم البرنامج التلفزيوني (عشائر) من قناة صلاح الدين الفضائية في عام ٢٠٠٧م.
- اعد وقدم البرنامج التلفزيوني (مدن لها تاريخ) من قناة صلاح الدين الفضائية في عام ٢٠٠٩.
- اعد وقدم البرنامج الاذاعي (شواهد من التاريخ) من اذاعة صلاح الدين ايف ام. في الأعوام٢٠١٣ ٢٠١٢م
- اعد وقدم البرنامج الإذاعي (التاريخ ان حكى) من إذاعة صلاح الدين ايف ايم في العام ٢٠١٨م.
- كتب عدد من القصص القصيرة وشارك بها في بعض المسابقات الأدبية المحلية.

الكتب المطبوعة والمنشورة

١. تكريت الخالدة عبر العصور، دار النقاء – بغداد، ١٩٨٦م.

٢. الإبانة والتبيين في مرقد ومزار الأربعين. بغداد، ١٩٩٧م.

٣. مدن عامرة لها تاريخ في وادي الرافدين العريق، دار دجلة – عمان ٢٠١٩م

٤. صلاح الدين الايوبي ومعارك الطريق إلى القدس، مكتبة ابابيل – بغداد، ١٩٩٠م

٥. مدن صلاح الدين اخبار تالدة واثار خالدة. دار أمجد – عمان، ٢٠١٧م

٦. تاريخ تكريت في عصور ما قبل الإسلام. دار رند– دمشق،٢٠١٢م.

٧. الفتح الإسلامي لمدينة تكريت. دار رند – دمشق، ٢٠١١م.

٨. موسوعة التراث الثقافي لمدن محافظة صلاح الدين (بالاشتراك). دمشق، ٢٠١١.

٩. دليل الخارطة الاثرية لتكريت المدينة التاريخية. ط: القاهرة–٢٠١٤/ طبعة عمان، دار المعتز ٢٠١٩م

١٠. أعلام ورموز الصحافة والإعلام من التكريتيين خلال القرن العشـرين. ط: القـاهرة.٢٠١٦م/ ط: دار الفـا دوك – قسـنطينة. الجزائر ٢٠١٩م

١٢. جمهرة المؤرخين من مدن صلاح الدين. ط: دار تموز – دمشق.٢٠١٢م./ ط، دار أمجد – عمان٢٠١٧

١٣. آرام تكريـت. دار المشـرق. دار المشـرق – دهـوك. ٢٠١٣م.

١٤. المنصـورة داحـرة الصـليبيين وحاضـرة آخـر سـلاطين الأيوبيين. القاهرة ٢٠١٤م.

١٥. مدن داثرة ومواقع دارسة في اواسط بلاد ما بين النهرين، دار دجلة – عمان ٢٠١٨

١٦. المدرسة الهمامية صرح حضاري زاهر يخلده موقع أثري داثر. دار المعتز – عمان ٢٠١٨م

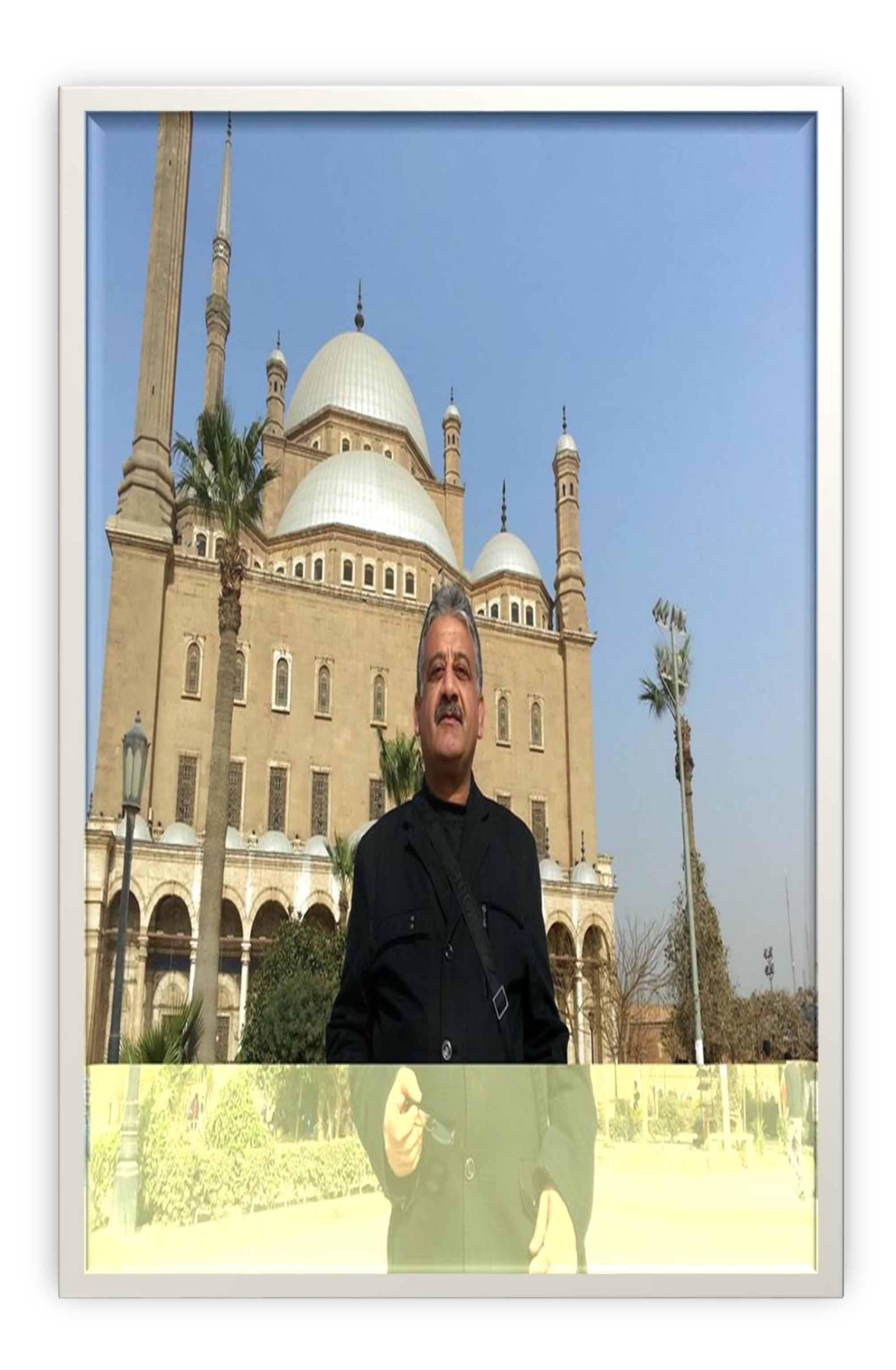
١٧. اثار واخبار الجالية التكريتية في الشام والجزيرة، دار ابن النفيس– عمان ٢٠١٩م

١٨. اخبار واثار الجالية التكريتية في البلاد المصرية. دار ابن النفيس – عمان، ٢٠١٩

١٩. التعريف بالمدارس التكريتية في التراث الحضاري لبلاد الشام والعراق ومصر والسعودية، ط: دار أمجد – عمان ٢٠١٨م

٢٠. ترانيم طائر القرقاش – مجموعة شعرية – المنصورة ٢٠١٤م.

٢١. المدارس التكريتية في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار تموز – دمشق، ٢٠١١م
٢٢. اخبار الحكماء الاولين في تاريخ علوم الاقدمين. دار ابن النفيس، عمان
٢٣.الحقائق الجلية في تاريخ الفتوحات لبلاد اعالي دجلة والجزيرة الفراتية. دار المعتز للنشر
٢٤. نزهة القلوب بتاريخ ملوك وممالك بني أيوب. دار المعتز للنشر
٢٥. البيوتات والاسر العلمية التكريتية في تراث البلدان العربية. دار كفاءة المعرفة للنشر
٢٦. مباحث في تأصيل الهوية للتالد من مدن القلاع الرافدينية. دار زهدي للنشر
٢٧. مرايا نظر في الادب والثقافة والفكر– كتاب ثقافي نقدي. دار زهدي للنشر
٢٨. المدن التاريخية والمواقع الحضارية في اعالي دجلة وشرقي الجزيرة الفراتية. دار الفا دوك
٢٩. الحاشية الناصرية على تاريخ الدوحة الرفاعية. دار الفا دوك الجزائرية
٣٠. الرمز صلاح الدين وركب الفاتحين. دار ابن النفيس،٢٠١٩م



المزار : كلمة إصطلاحية دالة على موضع الزيارة، والزيارة لغة تعني القصد، وشرعا تعني الحضور في المحل المقصود سواء كان مرقد طاهر او مشهد مبارك او مقام جليل لنبي او لصفي او لولي وفي مواسم معينة للتيمن والتبرك والتنسك وايفاء النذور .

وتكريت الحاضرة التاريخية هي من ابرز المدن الرافدينية التي ما فتئت تمتلك هكذا امكنة طاهرة وبالقدسية عامرة وان ممتلكاتها من تلك الصروح المباركة قد منحها يقينية اعتقاد فيها حتى صارت في قدسيتها حقائق تاريخية. وانني هنا ومن باب التحقق ثم التثبت من امرها نقوم بدراسة استقرائية تاريخية استدلالية لمنحها الصفة التي تستحق معتمدين طريقة جديدة على مضمار التحقيق الاثري والتحقق التاريخي.

حيث ان من بين احدث طرائق الاستدلال التي باتت تعتمدها في عمليات تحقيق الشواخص التراثية الوطنية هي طريقة الاستدلال بالأخبار والوثائق التاريخية ، وقد عدت هذه الطريقة من أهم الطرائق في هذا المجال ولقد حسمت بها العديد من المسائل الأثرية المتحيرة .

إذ مثلما قد كانت للآثار وقفات تأكيد وتصويب للأخبار فقد صارت لنصوص الأخبار والوثائق وقفات تصويب وتأكيد للآثار، وها أنني بهذه الاسهامة أسوق المثل على ذلك ، للتحقق من هوية بعض من الشواهد الأثرية الدينية (المزارات) التي تحتضنها مدينة تكريت التاريخية.

تصميم الغلاف
رياض الجابر